الكتاب ١٢١

كتب قومية

ثورة الوجود العربي

بقلم
عودة بطرس عودة



عدد خاص   الثمن ٤ قروش

كتب قومية

الكتاب ١٢١

ثورة الوجود العربي

بقلم

عودة بطرس عوده

فى النطاق العربى

لم يتعرض الوجود العربى منذ الحملات الصليبية قبل ٩٠٠ عام الى مثل الخطر الذى يتعرض له منذ عام ١٩٤٨ عندما نجح الاستعمار والصهيونية العالمية فى اغتصاب فلسطين واقامة قاعدة لهما على جزء من أرضها العربية تصلح وفق مخططهما لان تكون مركزا للاحتشاد المادى والبشرى ثم الانطلاق والزحف بقواهما لتحقيق شعار الصهيونية العالمية « من الفرات الى النيل، حدودك يا اسرائيل » المنقوش على لوحة كبيرة مثبتة على مدخل الكنيسيت، ذلك لان اقامة هذه القاعدة العدوانية لا يعنى فقط اغتصاب جزء من الارض العربية ، أو قيام دولة غازية معتدية فى الوطن العربى، أو تشريد شعب فلسطين العربى ، انما يعنى أن خطة استعمارية صهيونية بعيدة المدى تستهدف السيطرة على الوطن العربى والقضاء على الوجود العربى بدات تاخذ طريقها الى التنفيذ العملى بعد تمهيد استغرق واحداً وأربعين عاما اذا اعتبرنا وعد بلفور عام ١٩١٧ ، وهو أول نصر حققته الصهيونية العالمية بعد المؤتمر الذى نادى اليه وتزعمه نبى الصهيونية هرتزل عام ١٨٩٧ ، بداية التآمر الاستعمارى على العرب .

كان المعنى الحقيقى لقيام هذه القاعدة العدوانية ان العرب ، كل العرب ، بدأوا يواجهون تحديا خطيرا ، ويتعرضون الى مؤامرة كبرى يحشد الاستعمار والصهيونية العالمية كل مايملكان من امكانيات مادية وبشرية ، أو عناصر خيانة وعميلة ، لتنفيذها وتحقيق أهدافها ، البعيدة منها والقريبة .

بعض هذه الاهداف أن تكون حاجزا بشريا يفصل بين عرب اسيا وعرب أفريقيا ، ومخلبا يحركه الاستعمار لالهاء الشعوب العربية عن أهدافها ومطالبها القومية ، وأداة قادرة على استنزاف الامكانيات والطاقات العربية ، وقلعة تنطلق منها موجات العدوان تدق الحدود ، وتهدد الوجود ، وتقوض الاستقرار ، وتفرض على العرب صرف مواردهم لدرء الاخطار فلا يقدرون على الاستفادة

منها فى اصلاح مجتمعهم ، فيبقى مجتمعا مفكك الاوصال، يسوده الجهل وتتحكم فيه الاقلية العميلة ، وتستبد به عناصر الخيانة والانتهاز ، فتتحقق للاستعمار بذلك امكانية السيطرة أو ابقاء هذه السيطرة على العالم العربى ، وابقاء هذا العالم بموارده واستراتيجيته خاضعا للنفوذ الاجنبى .

لقد أحس الاستعمار منذ الحرب العالمية الاولى بخطورة اليقظة العربية فبادر الى محاربة هذه اليقظة بتجزئة الوطن العربى وتفتيت الامة العربية وخلق طبقات حاكمة ترتبط به مصيرا ووجودا .

أراد من هذه التجزئة خلق مشاكل اقليمية كمشكلة الاحتلال او الاستقلال أو التحرر أو الحريات العامة تصرف الشعب العربى عن الوحدة العربية أو الاهداف القومية .

وأراد من خلق طبقات الحكام العملاء ايجاد تناقض بين هؤلاء الحكام وبين شعوبهم لحصر النضال العربى على المستوى الاقليمى من جهة ، وجعل هذه الطبقات مرتمية فى أحضانه ، تعتمد فى وجودها على وجوده ، فتبقى أداة تحقق اغراضه من جهة أخرى .

ومع أن العالم العربى الواحد الممتد من المحيط الاطلنطى الى الخليج العربى أصبح بفعل التآمر الاستعمارى مجموعة من الدويلات الضعيفة بضعف وخيانة حكوماتها ورؤسائها ، الا أن اليقظة العربية استمرت فى النمو والازدياد ، وكان معنى ذلك أن الاغراض البعيدة التى من اجلها كانت التجزئة ، بدأت تتحطم على الوعى القومى وشعارات الوحدة الشاملة والتحرر الكامل التى بدأت ترتفع فى كل بلد عربى وكل جزء من الاجزاء التى أوجدها الاستعمار فى عالمنا .

واندفع الاستعمار يسابق الوعى العربى ، ويسابق الزمن معا، فقد اصبح الوعى القومى العربى يهدد مصالح الاستعمار ووجوده فى المنطقة العربية ، وأصبح الزمن عاملا هاما من عوامل هذا الوعى ، وكان الهدف الكبير الذى سعى اليه الاستعمار بكل مؤامراته وامكانياته وعملائه وأمواله هو وضع العراقيل والعقبات الكبرى فى طريق الوحدة العربية كرد منه على الوعى القومى العربى الذى بعث فى الامة العربية شعورها القومى ، وكشف لها عن الاطماع الاستعمارية فيها والاساليب اللا اخلاقية التى يتبعها

معها لتبقى مجزأة ضعيفة فقيرة تعتمد فى وجودها وحياتها على مســـاعداته .

وكانت اسرائيل هى ثمرة اندفاعه المسعور ، أوجدها بالتـآمر والخيانة فى قلب الوطن العربى لتكون حاجزا يمنع الوحدة العربية وقاعدة تهدد الوجود العربى .. وجسرا تعبر عنه الصـــهيونية العالمية بكل ما تملك من امكانيات واحقاد ووحشية لغزو العـالم العربى ، وتحقيق دولة صهيون على أنقاض الامة العربية والتراث العربى والوجود العربى .

من أجل هذا ، مدها الاستعمار باسباب الحيـاة والوجـود ، منحها التأييد المادى والمعنوى ، واعطاها السلاح والمـال والخبراء العسكريين ، وسخر الملوك والحكام العرب لخدمتها ، وبفضل ذلك كله نجحت الصهيونية العالمية فى اغتصاب قسم كبير من فلسطين العربية وفى تشريد مليون من شعبها وفى الوصول الى ايلات على خليج العقبة لتؤكد الفصل بين عرب افريقيا وعرب اسيا .

بعدئذ انصرفت جهود الاستعمـار والصهيونية العـالمية الى تثبيت الوجود الصهيونى وجعله وجودا شرعيا . كان لابد لذلك من اعتراف العرب ، بعضهم على الاقل ، بهذه الدولة الغـــازية الغاصبة ، فبذلت الجهود وتركزت هذه الجهود على الملك عبد الله والهاشميين لكونهم أكبر الثغرات التى يمكن للاستعمار أن ينفـذ منها للتآمر على سـلامة العـرب ، وكاد الصـلح أن يتم بين الملك الهاشمى عبد الله وبين الغزاة الغاصبين لولا الارادة العـربية التى تفجرت فى صيف عام ١٩٥١ فى مدينة القدس لتمنع تنفيذ المؤامرة

بذلك ضاعت من الاستعمار والصهيونية العالمية فرصة العمر ، لان الواقع العربى كله بدأ بعد ذلك العام يتغير تغيرا ثوريا ، ثم لان الوعى القومى أخـذ يكتشف حقيقة الملوك والحـكام ، كذلك لان الإرادة العربية استيقظت على التحدى التاريخى الذى يهددها .. ولم يعد الواقع العربى ، رغم بقائه مجزءا مفككا ، يســاعد على تحقيق أمل الصهيونية والاستعمار ، بل أن هذا الامل أصبح بعد عام ١٩٥٢ حلما وأمنية وواحدا من المستحيلات .

وعام ١٩٥٢ هو الحد الفاصل فى تاريخ العرب الحديث ، هــو

البداية لبعثهم وقوتهم ، والنهاية لضعفهم وتخاذلهم .. بل ان يوما واحدا من ذلك العام قبل تسع سنوات هو الخيط الرفيع بين عهد المذلة والاستسلام وعهد الكرامة والاعتزاز .

كان العرب حتى يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ يجترون الهزيمة ويتلقون الصفعات ، وتنهال عليهم ضربات الصهيونية والاستعمار ، وتتصدع حدودهم من اعتداءات الغزاة وهم لايملكون غير الاحتجاجات يبرقونها الى مجلس الامن الدولى ، وغير الصرخات الذليلة ، صرخات الضعيف الذى لاحول له ولا قوة ، وانات المريض الذى لايقوى على النطق ، يطلقونها محمومة ، وكانت اسرائيل فى الارض المحتلة تبنى القوة وتحشد فتيان الصهيونية استعدادا لجولة ثانية ، وكانت أجهزتها ، أجهزة الاستعمار والصهيونية ، تفخر بانتصاراتها على الجيوش العربية السبع ، وتتحدث عن الواحة الباسمة فى الصحراء العربية ، وتمسخ العرب مسخا دون أن يرتفع للعرب صوت يردون به سهما من سهام العدو السامة .. وكان بن غوريون السفاح ، الذى شرب حتى الثمالة من دم اطفال ونساء عرب فلسطين دون أن يرتوى ، يزهو ويتيه فخرا بما حققه شعب الله المختار من انتصارات فى أرض الميعاد ، ويهدد بعنجهية ويتهدد بوقاحة ، الثمانين مليون عربى بفرض الصلح عليهم بقوة السلاح ، والثمانون مليونا يتفجرون من الغيظ ويحسون بالاخطار تلفهم ويسعون وراء سلاح يدافعون به عن كرامة امتهم ووجودها وعن زعيم يقودهم فى معركة الحياة ويبعث فى نفوسهم الثقة ، وحكامهم يلهون بالمفاسد ويرتعون بالخيانة .. وكانت الارادة العربية تتلمس الاخطار وتحس بها ، وكانت ترى فى كل ما حمله عام ١٩٤٨ من استهتار المسئولين العملاء بمعنى الوجود الصهيونى فى الوطن العربى تحديا تاريخيا لم يسبق أن واجهت مثيلا له منذ ٩٠٠ عام . وكانت من خلال ما تتلمس من أخطار ، وما ترى من تواطؤ وخيانات واستهتار ، وما تواجه من تحد ، تتحفز لعمل ثورى يجعلها قادرة على مواجهة العدوان والارتفاع بالمعركة الى مستواها المصيرى والحياتى .

هكذا كان حال العرب حتى الساعات الاولى من يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، ثم تفجرت الثورة لتواجه التحدى وتؤكد الوجود العربى وتقدم للأمة العربية الزعيم الذى تبحث عنه .. وفى لحظات

قليلة لم يكن احد فى الدنيا يعلم وقتئذ قيمتها وخطورتها ، تهاوى عهد شرب العرب منه كؤوس المذله والمرارة ، وبدأ عهد اقام للعرب صروح المجد والقوة .

لم تكن الثورة التى تفجرت فى القاهرة قبل تسع سنوات ثورة اقليمية ينحصر خيرها فى مصر وحدها ، انما كانت ثورة الامة العربية كلها ، خيرها للعرب كلهم .. ومن هنا ، من كونها ثورة عربية ، لقيت من الاستعمار والصهيونية العالمية ، ومن جميع القوى الطامعة فى وطننا العربى ، ومن كافة العملاء والانتهازيين ، مقاومة لم تلق فى شدتها وعنفها ثورة عرفها العالم فى عهده الحديث .. ثم لكونها عربية التفت حولها وحول قائدها الجماهير العربية التفافها حول مبادئها واخلاقها وأهدافها ، وانطلق تيارها الثورى التحررى ، تيار القومية العربية ، يوقظ الامة العربية على واقعها الفاسد وحكامها العملاء واستقلالها الزائف وتجزئتها المصطنعة وخيراتها المنهوبة واوطانها المسلوبة والاخطار التى تهدد وجودها والمؤامرات التى تدبر فى الخفاء ضدها والاطماع الاستعمارية والصهيونية فيها .

لقد سعى الاستعمار وبذل كل الجهد فى سعيه لتحويل الثورة الى انقلاب ، كما فعل بثورة العراق .

فيكون الجديد الذى يحدث هو تغير فى الوجوه السياسية ، واستمرار فى السياسة الخارجية ، وابقاء على الواقع الفاسد ، ولكن المساعى والجهود الاستعمارية تحطمت على صخرة عبد الناصر قائد الثورة ورمزها الكبير ، فلم تنحرف الثورة عن خط سيرها المحدد ، انطلقت تهدم الواقع الفاسد الذى يمثل رواسب آلاف السنين ، وتقلع جذور الاستعمار وعملائه ، وتمزق الاردية الخادعة التى يتبرقع بها الانتهازيون ، وتضع حدا نهائيا لمفاسد الحزبية ومهاتراتها ، وتستعيد من الاقطاعيين حقوق الفلاحين ، ومن الغاصبين حقوق المواطنين ، فى الوقت ذاته ، عندما كانت يد تضرب بالفأس لتهدم ، كانت يد أخرى تحمل الطوب لتبنى مجتمعا جديدا تسوده العدالة وترفرف عليه الطمأنينة وتتحقق فيه المساواة لكل مواطن والقوة للامة العربية كلها .

عندئذ ، عندما عجز الاستعمار عن تحويل الثورة الى انقلاب ، وعن تحويل أبطال الثورة الى رجال حكم محترفين يستهويهم

كرسى الحكم وتخيفهم مشقة الهدم الكبير والبناء الاكبر ، ووجد نفسه عاجزا عن حماية مصالحه واحتكاراته وامتيازاته وكل ماسلبه ، ثم رأى قلعة من القلاع التى يحتمى بها ويتخذها درعا وموردا له تتحرر من قبضته ، عمد الى بذل كل امكانياته لحصر هذه الثورة ضمن حدود مصر مدفوعا إلى ذلك لحماية اسرائيل ولابعاد روح الثورة عن البلاد العربية لتبقى خاضعة لنفوذه وتبقى خيراتها مصدرا لرفاهية أبنائه وموردا يعينه على تشديد قبضته القذرة على الامة العربية .

وفى سبيل ذلك ، من أجل حصر الثورة ، عمد الى اسرائيل يحركها ضد مصر وعمد الى الحكام العملاء يجمع شملهم ويحصر جهودهم ضد عبدالناصر ، واحاط الثورة بسياج كثيف من الدعاية والاذاعات السرية ، وجشد كل امكانياته لمحاربة هذا التيار الذى أخذ ينتشر ويشمل كل جزء من أجزاء الوطن العربى الكبير .. ولما لم ينفع ذلك كله، لجأ الى الحرب الاقتصادية ثم الى السلاح .

فى فبراير سنة ١٩٥٥ تحركت اسرائيل لتضرب بغارات مفاجئة الآمنين فى قطاع غزة وتهدد حدود مصر .. كان القصد من ذلك، هو الهاء الثورة ، واعاقة سيرها ، واستنزاف الموارد فى درء الأخطار الصهيونية ، وخلق حالة من عدم الاستقرار تصرف الرمز الكبير الذى تتجمع حوله الجماهير العربية عن الاهتمام بمعارك التحرر التى يخوضها الشعب العربى فى كافة الاقطار والاجزاء ، وبذلك يقل خطر الثورة ومفعولها وينحصر تيارها الجارف ضمن الحدود الاقليمية ريثما تحين فرصة الانقضاض عليها ، وتبقى البلاد العربية فى منأى من اللهيب الذى بدأ حره يلهب الحكام العملاء فيخيفهم ويقلل من حماسهم فى خدمة الاستعمار والصهيونية .

ولكن الذى حدث كان على عكس ما خطط الاستعمار ، فقد كان لتحركات اسرائيل العدوانية وتحرشها بمصر الثورة تأكيدا لخطرها وخطر وجودها ليس على الثورة أو اية ثورة عربية فحسب ، بل على الوجود العربى كله ، لان مثل هذا التحرك العدائى كشف القناع عن نوايا الاستعمار والصهيونية فاذا بها نوايا أجرامية طامعة فى السيطرة على العالم العربى كله .

بالاضافة الى ذلك كانت هذه الاعتداءات تحديا مباشرا وصريحا لعبد الناصر أمل العرب الكبير الذى يرفع راية القومية العربية

والنضال العربي بقصد التقليل من نفوذه وقيمته المادية والمعنوية للجماهير العربية التي غدت تؤمن به رائدا وقائدا ، وبثورته ثورة الامة العربية كلها ، وواجه عبد الناصر هذا التحدي وهذه الاعتداءات بروح الثورة وعقليتها فخاض مع الاستعمار والصهيونية العالمية معركة ترتبت عليها آثار ونتائج قومية في المستوى العربي ، وعالمية في المستوى الدولي .

كانت هذه المعركة ، احتكار السلاح .. وكان هذا النوع من الاحتكار أحد المقومات الكبرى التي يعتمد عليها الاستعمار في تثبيت وجوده . كان يمنع ، عن طريق الحكام العملاء حينا وبنفوذه حينا آخر ، البلاد التي تخضع لنفوذه ، وكانت البلاد العربية كلها وقتئذ خاضعة لنفوذه ، من شراء السلاح الا منه ومن مصانعه وبموافقته ، وكان قادرا وقتئذ على تحديد كمية ونوع السلاح المراد شراؤه ، وبذلك تمكن من جعل تسليح الجيوش العربية مجتمعة لا تزيد عن تسليح جيش اسرائيل منفردا ، أي أن القيمة الحربية للسلاح التي كانت تملكه الجيوش العربية حتى عام ١٩٥٥ لم تكن أجود ولا أكثر من قيمة السلاح الذي يملكه جيش الغزاة الصهيوني في فلسطين المحتلة .. وكانت سياسة الاستعمار تهدف الى خلق توازن في القوى بين العرب وبين اسرائيل ، وكان الاستعمار قادرا كل المقدرة على خلق مثل هذا التوازن لانه كان وحده الذي يملك حق تسليح الجيوش العربية وجيش اسرائيل ، وبهذا التوازن في التسليح كان الاستعمار يحقق الكثير من الاغراض ، أهمها ابقاء اسرائيل أقوى من أية دولة عربية منفردة وبذلك وبحكم التناقض الذي يخلقه الاستعمار في بعض المجالات بين الحكام العملاء ثم بحكم استحالة اتفاق الحكام العملاء على خوض معركة حاسمة مع اسرائيل ، تبقى اسرائيل مخلبا يحركه الاستعمار للالهاء حينا واستنزاف الموارد حينا آخر وتقويض الاستقرار حينا ثالثا دون أن تقوى دولة عربية واحدة ، الرد على اعتداءات اسرائيل بقوة الاعتداءات على الاقل .. ناهيك عن أن اسرائيل تبقى عن طريق الدول المصدرة للسلاح وهي دول حليفة لها ووصية عليها وعلى مهامها العدائية واطماعها ، على معرفة حقيقية بقيمة ونوع السلاح الذي يملكه كل جيش من الجيوش العربية ، وبذلك تعرف اسرائيل مقدار ماتحتاج اليه الجولة الثانية من امكانيات عسكرية تكفل لها مقدرة

القفز وابتلاع جزء جديد من الارض العربية .

ولقد أدرك عبد الناصر الثائر خطورة البقاء تحت رحمة محتكري السلاح ، وهم دول الغرب ، وجميعهـا دول استعمارية ، على ثورته العربية وعلى الوجود العربي كله ، فبادر الى خوض هـذه المعركة التي ترتبت عليها آثار ونتائج ليست في مصلحة الوجود العربي فحسب بل وفي مصلحة الشعوب الافريقية والاسيوية ايضا

سعى عبد الناصر وهو يواجه التحدى التاريخي وراء السلاح يحمي به الثورة المباركة ويدافع به عن الوجود العربي الذي يهدده خطر الصهيونية العالمية .. اتجه الى دول الغرب ، الى محتكرى السلاح ، يعرض عليهم شراء السلاح منهم بمال يدفعـه نقـدا وبالعملة الصعبة ، ولـكنهم رفضوا بيعه ، اوصدوا الابواب في وجهه لتبقى الثورة التي تدق معاقل الاستعمار في الوطن العربي بدون سـلاح وبدون جيش قوي يحميها ، وكان الرفض بداية المعركة الـكبرى الحاسمة ليس في تاريخ عالمنـا العربي فحسب، بل في تاريخ الشعوب حديثة الاستقلال المناضلة من أجل تحررها وسيادتها واستكمال استقلالها أو ممارستها لاستقلالها ممارسـة فعلية أكيدة .

وبعد شهور قليلة حسمت المعركة .. فقد حطم عبد النـاصر احتكار السلاح .. حصل على السلاح الثقيل الذي يحتاج اليـه في معركة المصير والوجود من الاتحاد السوفياتي والكتلة الشرقية وبذلك فتح عبد الناصر عهدا جـديدا في تاريخ تحرر الشعوب ، بعد هـذا النصر الـكبير الذي فوجيء به الغرب أيما مفـاجأة ، استحال على الغرب ، كل دوله ، سد الثغرة الـكبيرة التي فتحها القـائد العربي في صـفوفه .

وارتعدت فرائص الصهيونية ، وكان لها أن ترتعد ، من هذا الذي حققه عبد النـاصر ، لانه قلب موازين القوى في المنطقـة العربية وغدت الامة العربية بما يملـكه جيش الثورة العربيـة في مصر ، تملك اسباب القوة والمنعة والمقدرة على درء الاخطار وحماية الانتصارات والحدود ومجابهة الاعتـداءات الصهيونيـة بضربات مذهلة حملت بن غوريون الذي كان يزهو ويفخر بقوة جيش شعب الله المختار على الصراخ والاستغاثة وطلب المزيد من ملايين الدولارات وانواع الأسلحة الثقيلة ...ثم اختفت الاحتجاجات لهجة الضعفاء الأذلاء لتأخذ مكانها القوة لغـة يخاطب بها العـرب لأول مرة في تاريخهم الحديث أعداءهم ..

وكان المعنى الكبير لهذه القوة التى غدت تملكها ثورة مصر العربية ، ولهذا الانتصار التاريخى الذى حققه بطل هذه الثورة، ان ازدادت الجماهير العربية التفافا حول عبد الناصر وايمانا بالقومية العربية التى يرفع رايتها عاليا ، وثقة بنفسها وامكانياتها وارادتها ، وحماسا فى النضال من أجل تحقيق الشعارات الكبرى التى ملأت السماء العربية .. الوحدة والحرية والاشتراكية .

وتمكنت هذه الجماهير التى اكتشفت بثورة ٢٣ يوليو امكانياتها الهائلة وارادتها الجبارة وذاتها الخالدة من تحقيق انتصارات كبرى تؤكد شمول الثورة للوطن العربى كله .. —

فى عام ١٩٥٥ ، بعد أن تحركت اسرائيل تؤدى مهمة الاشغال والالهاء ، وفشلت فى ذلك ، اتخذ الاستعمار فيما اتخذ من خطوات لحصر تيار الثورة داخل حدود مصر ومنع امتداد لهيبها خارج هذه الحدود الى ارجاء الوطن العربى ، تجميع الحكام العملاء فى حلف واحد لعله بهذا الحلف يوقف التيار القومى الجارف الذى انطلق من القاهرة ليعم كل بقعة فى الارض العربية .. وسموا ذلك الحلف لخداع العرب وتضليلهم حلف بغداد ، ولم يضم من العرب الى جانب بريطانيا وتركيا وايران وباكستان غير العراق، ومع ذلك فان الشعب العربى فى العراق عبر عن معارضته لهذا الحلف واستنكاره الانضمام اليه بثورة كثر فيها الضحايا والقرابين والدماء والدموع قبل أن يتمكن العملاء من اخماد صوت الشعب، وقبل أن يتمكن الاستعمار من بدء زحفه الجديد لتطويق الثورة التى تمثلت فيها ارادة الامة العربية .

كانت سوريا والاردن هما الهدف الجديد الذى اتجه اليه الاستعمار .. ولكنه لم يقدر أن يحقق فى سوريا أى تقدم فى اتجاه الهدف الذى حدده لتضامن الشعب والجيش فى مقاومة الاحلاف كمبدأ عام وحلف بغداد كمبدأ خاص ، ثم لعدم تمكن العملاء من العمل فى جو مشبع كراهية وحقدا على الاحلاف ومؤيديها .. كان الشعب العربى فى سوريا يستند فى مقاومته العنيفة الى الثورة التى غدت قوة كبرى تساند كل جزء من أجزاء الوطن العربى فى معركة تحرره وحماية استقلاله ... وقد وقفت الثورة بكل امكانياتها تدعم سوريا فى موقفها وتحارب الحلف بكل

طاقاتها ، ويقيننا بان امكانيات الثورة المادية والمعنوية هى التى وفرت للشعب العربى فى سوريا كسب الجولة فى معركة الاحلاف كما مكنت الشعب العربى فى الاردن من الحاق الهزيمة النكراء بالحلف الاستعمارى الذى كاد أن يكون طوقا حديديا يفل الطاقة العربية ويعتقل الارادة العربية ...

كان الحال فى الاردن عام ١٩٥٥ يختلف كل الاختلاف عن الحال فى سوريا ، ففى الوقت الذى كانت فيه سوريا تنعم بالاستقلال الحقيقى التام وتتبع سياسة تنبع من مصالحها وظروفها وارادتها ، ويتضامن فيها الشعب والجيش ليكونا جبهة قوية لاتقتحم ، كان الاردن رغم مظاهر الاستقلال مكبلا بمعاهدة تفرض فيها بريطانيا ارادتها عن طريق المعونة المالية التى تقدمها ويتحكم فى جيشها الجنرال جلوب البريطانى وحفنة اخرى من ضباط بريطانيا ناهيك عن الظروف الموضوعية التى كان يمكن للعملاء وللقصر وللسفارات الغربية أن يعملوا فيها .. لذلك كان من الطبيعى أن تتحطم جهود الحلف فى سوريا على تضامن الشعب والجيش هناك ، وكان من الطبيعى أيضا أن تبذل المحاولة الجدية فى الاردن لربطه بالحلف ، حتى اذا تمكن الاستعمار من ذلك يعاود الكرة على سوريا ...

لقد مهد جلوب والسفارات الغربية والقصر والعملاء جوا اغرى الجنرال تمبلر رئيس أركان حرب القوات البريطانية وقتذاك على المجيء الى عمان حاملا القيود والسلاسل فى يديه ، ومبالغ طائلة من الاموال والوعود الكاذبة فى جيوبه ، واستقبله الملك حسين فى قصره ، ثم اجتمع مع الوزارة التى كان يرئسها سعيد المفتى .. وعندما اتضحت نواياه وعلم الشعب بهذه النوايا تفجرت الثورة التى هزت أركان الامبراطورية العجوز ، ومرغته فى الوحل رجلها الذى كان يلقب بـ « قاهر الملايو » .. وعجز جلوب وضباطه ، وعجز القصر وأعوانه ، وعجزت السفارات وأموالها ، وعجز الاستعمار وعملاؤه عن اخماد ثورة الشعب التى كانت تتخذ من مبادىء عبد الناصر مبادىء لها ومن شعارات ثورة مصر شعارات ترفعها ، ورفضت وزارة المفتى توقيع صك الخيانة فاستقالت لتخلفها وزارة برئاسة هزاع المجالى الرجل الذى انتهى فى اغسطس من عام ١٩٦٠ وهو يخدم الاستعمار البريطانى بكل جهد يمكنه وكل خيانة لامته يقدر عليها .. وتحدى المجالى ارادة الشعب ،

أراد ان يربط الاردن بالحلف الاستعماري ، ولكنه لم يقدر على المقاومة رغم الامكانيات المادية التي وفرها الاستعمار له ، فتهاوى وأجبر على الاستقالة وأسرع الى عشيرته في الكرك يحتمي بها من غضبة الشعب .. واستسلم الملك حسين لارادة الشعب ، فأعلن بان الاردن لن يرتبط بحلف بغداد ولا باى حلف عسكرى مهما يكن نوعه ، كان ذلك اعترافا صريحا بهزيمته أمام الشعب ، واعترافا بانتصار الشعب عليه .

بذلك دفن شعب الاردن الذى لايتجاوز تعداده المليون والنصف من السكان اسفين الموت فى الحلف الذى أوجده الاستعمار ليطرق به الثورة العربية الكبرى التى تفجرت فى القاهرة وبدأ تيارها القومى يجتاز الحدود المصطنعة ليوقظ الامة العربية على الاخطار التى تهدد وجودها .

ولم يكن لشعب الاردن أن يحقق انتصاره التاريخى ذلك الذى أوقف به زحف الحلف على بقية العالم العربى لولا القوة التى يستمدها من ثورة ٢٣ يوليو فتبعث فى ذاته الثقة ، وبهذه الثقة تحققت فى الاردن المعجزة ، وانها لمعجزة حقا أن يتمكن الشعب الاعزل من السلاح المكبل بالقيود ، المحكوم بالارهاب ، من الانتصار على حلف بغداد بكل امكانياته ، واذلال الشخصية التى تمثل الامبراطورية البريطانية بكل عظمتها وقوتها وكثرة عملائها .

اننا لو نبحث بعمق عن السر الكبير الذى يكمن وراء هذه المعجزة التى تحققت لوجدنا انه عبد الناصر بطل الثورة ورافع لوائها .. لم يذهب عبد الناصر الى الاردن يقود المعركة هناك ضد الاحلاف ، ولم يبعث بالسلاح ولا بقواته لتحارب الاستعمار فى مدن الاردن وقراه ومخيمات اللاجئين فيه ، ومع ذلك فانه هو وحده الذى أكسب الشعب فى الاردن معركة الاحلاف ... ذلك أن الشعب هناك حارب الحلف بمبادىء عبد الناصر وثورته وأخلاقه واتخذ من عبد الناصر رمزا كبيرا له .. ثم ان هذا الشعب خاض تلك المعركة وهو يعلم علم اليقين بأن نتائجها ستؤثر على الانتصارات الكبرى التى حققتها الثورة فى مصر ... ومعنى ذلك أن خسارة المعركة كانت ستنعكس على كل ماحققته الثورة ، بل ان هذه الخسارة كانت تعنى وضع عراقيل كثيرة ومنعطفات

خطيرة فى طريق الثورة تهدد أهدافها وشعاراتها التى غدت اهداف وشعارات الامة العربية .. بهذه الروح خاض شعب الاردن المعركة ، وهذه الروح هى التى كسبت المعركة لذلك الشعب المناضل ودفعته لان يكمل الطريق التى بدأها ، وهى طريق التحرر ...

كان الشعب وما زال فى البلد العربى الذى يمكن من تلال رام الله وسهول طولكرم فيه ضرب تل أبيب بمدافع الميدان البسيط عيار ٢٥ رطلا وشطر الاراضى المحتلة شطرين أو أكثر ، يعانى منذ نكبة فلسطين عام ١٩٤٨ من ظلم الحكام العملاء وسيطرة الاستعمار البريطانى على البلاد متمثلا فى جلوب الذى كان يتولى قيادة الجيش الاردنى واصدار الاوامر الى القصر وحكومات الاردن المتعاقبة دون استثناء .. وكان الشعب يتململ يريد الخلاص من الكابوس الاستعمارى لينطلق بالاردن فى الطريق التى تؤدى به الى التضامن العربى الاكيد ، أن لم تؤد به الى الوحدة العربية الصحيحة ، ثم تنتهى به الى المساهمة الفعالة فى انقاذ الوطن السليب الذى قامت على أشلاء شعبه قاعدة تحتشد فيها قوى الصهيونية والاستعمار ... ولكنه ، ما من مرة حاول فيها التململ أو المطالبة بالاصلاح أو اطلاق الحريات حتى تلقفته يد جلوب الاحرار تزج بهم فى السجون والمعتقلات ...

لم تكن هناك فى أى جزء من أجزاء الوطن العربى قوة يمكن أن تكون سندا للشعب فى معركة التحرر ، ولم يكن الشعب العربى بحد ذاته قادرا على الارتفاع بالنضال الى مستوى الشعارات .. كانت الشعارات تطالب بالوحدة ، وبوحدة النضال ... ولكن النضال لم يكن موحدا ، ولم يكن قادرا على تحقيق الوحدة لعدم وجود القوة المادية التى تدعم هذا النضال وتغذيه وتوفر له أسباب الإنتصار وبلوغ الاهداف ولذلك ، وبسبب وجود حالة متشابهة فى الوطن العربى كله ووجود مصالح متشابهة بين الحكام العملاء فى البلاد العربية كلها ، فان معركة الحرية بقيت ضعيفة هزيلة لاتتعدى الشعارات والهتافات .. والمظاهرات فى بعض الاحيان .

وتغيرت الحال تغيرا شاملا وجذريا بعد ثورة ٢٣ يوليو اذ أصبحت للشعب العربى قوة مادية ومعنوية هائلة تدعمه وتبعث

الثقة فى نفسه وتفجر ارادته ، وكان لهذه القوة التى بذل الاستعمار كل ماملك فى سبيل تحطيمها أو حصرها وفشـل ، كل الاثر فى النتائج التى انتهت اليها معركة الحرية فى الاردن وفى الاقطـار العربية الاخرى ثم فى أقطار كثيرة من العالمين الافريقى والاسيوى، فقد اتخذ منها الشعب الاردنى سلاحا قويا فى معركة التحرر ولولاه لعجز كل العجز عن تحقيق أى انتصار فيها .. كان لهذه المعركة جوانب متعددة ، أهمها : سـيطرة جلوب والضباط الانكليز على الجيش ، واعتماد الاردن فى موازنته المالية وفى تسلح الجيش على بريطانيا ، ثم ارتباط الاردن بمعاهدة غير متكافئة مع بريطانيا .. معنى ذلك أن بدء القتال فى احدى هـذه الجبهات الثلاثة دون الاعتماد على قوة قادرة على المساندة الاكيدة وتقديم كل ما تقدمه بريطانيا من مساعدات عسكرية ومعونات مالية ، مجازفة خطيرة محفوفة بالمخاطر الاكيدة ، وكان فى الاردن ذاته عناصر كثيرة تبدى ترددها المستمر وخوفها من الاشتراك فى أى قتـال مع بريطانيـا بحجة عدم وجود القوة العربية القادرة على المساندة الاكيدة ...

كانت سوريا هى الدولة العربية الوحيدة المتحررة من جيوش الاحتلال ومن المعاهدات الاستعمارية ومن الارتباط بالنفوذ الاجنبى والاعتماد عليه ، ولكنها لم تكن بحكم قلة مواردها وحداثة استقلالها ومسئولياتها فى بناء مجتمعها وحماية انتصاراتها فى وضع يمكنها توفير المسـاندة الفعـالة فى معركة التحرر العربى . لذلك بقيت معركة التحرر العربى دون المسـتوى الذى تتطلبه أو تحتاج اليه مثل هذه المعركة ، وبقيت سوريا بذلك عرضة الى سيل لاينقطع من المؤامرات ومحاطة بسياج كثيف من الاعداء .. الى أن تفجرت ثورة ٢٣ يوليو فى القاهرة ، فكان تفجرها ايذانا بتوفير الامكانيات كل الامكانيات وعلى كافة المستويات لمعركة التحرر العربى على المستويين الاقليمى والقومى .

ولقد تمثل ذلك اكثر ماتمثل فى ثورة الجزائر التى فجرتها ارادة الشعب العربى عام ١٩٥٤ .

وفى الاردن عام ١٩٥٦ بعد معركة حلف بغداد مباشرة .. وفى الوحدة التى تحققت عام ١٩٥٨ بين مصر وسوريا . ثم فى حماية ثورة العراق فى يوليو عام ١٩٥٨ .

لقد ارتبطت ثورة الجزائر منذ اشتعالها مصيرا وحياة بالمساعدات التى تقدمها القاهرة لها ، وبقيت القاهرة تتحمل منذ سبع سنوات مسئولية هذه الثورة التاريخية ، ويكفى كى نعلم مدى قيمة الامكانيات التى تقدمها مصر قبل الوحدة والجمهورية العربية بعد الوحدة للثورة العربية فى الجزائر ، أن فرنسا كما اعترف زعماؤها وسياسيوها ورجال أحزابها أقدمت على الاشتراك فى العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ بغية قطع الموارد الحياتية التى تتزود بها الثورة الجزائرية من القاهرة لتتمكن بعدئذ من توجيه الضربات القاتلة للثوار وابقاء الجزائر قطعة من الارض الفرنسية .

كذلك الحال كان بالنسبة للاردن ، لم تجرؤ الحركة الوطنية هناك على بدء المعركة الحاسمة مع بريطانيا الا بعد ان ايقنت وتاكدت من وجود القوة المساندة الفعالة التى يمكنها وفى مقدورها منع اسرائيل من استغلال الظروف والقيام بعمل عسكرى مساندة العملاء والاستعمار ضد اية حركة ثورية أو تحررية .. وقد كانت اسرائيل تلعب دورا كبيرا فى تاخير معركة التحرر عن طريق تهديدها المستمر للحدود وغاراتها المتواصلة على القرى الآمنة .. كانت تقصد من وراء الغارات والتهديدات المباشرة وغير المباشرة الهاء الرأى العام الاردنى باخطارها ، عن نوع واسلوب الحكم الذى يحقق لها الكثير من الاغراض والاهداف واسباب الوجود . وكان الاستعمار من جهته يدفع اسرائيل للقيام باعمال عدوانية واستفزازية وتهديدات عسكرية للاردن ليؤكد بذلك للرأى العام والحركة الوطنية بشكل خاص ، وجود وتفاقم الخطر الصهيونى . عن طريق هذا الخطر الذى كان يتمثل بتهديد مستمر للضفة الغربية (بقية فلسطين) كان يحاول الحكام العملاء ابعاد الشعب الاردنى عن كل مايحدث فى الداخل من مساوىء ... بل أن هؤلاء الحكام العملاء كانوا يبررون الارتباط والاعتماد على بريطانيا بحجة الحاجة اليها فى المحافظة على استقلال وأمن البلاد من الخطر الصهيونى .

ثم بسبب هذا الدور الذى كانت تلعبه اسرائيل لتؤدى به بعض اغراض وجودها كان المترددون والمتبرقعون بالشعارات الوطنية يلعبون هم ايضا دورا خطيرا فى بث الروح الانهزامية والتردد وعدم الحزم

فى الاوساط الوطنية ، كانوا يبدون حرصهم الشديد على سلامة الحدود ؛ وعن طريق هذه السلامة كانوا يرفضون المشاركة فى اى عمل حاسم .. حتى المطالبة بتعريب الجيش الاردنى كان فى نظرهم تطرفا لا مبرر له لان هذا التعريب قد يفقد الاردن حماية بريطانيا لكيانه فتغدو الضفة الغربية لقمة سائغة للصهيونية ..

وبقى هذا الحال قائما ، بقيت اسرائيل تمثل دور الالهاء والاستعمار يحرك اداته الاجرامية ، والحكام العملاء يستغلون الاخطار لتاكيد وجودهم ووجود النفوذ الاستعمارى والاجنبى ؛ والانتهازيون أو المتبرقعون بالشعارات الوطنية المندسون فى صفوف الحركة الوطنية مترددون ومقاومون لفتح المعركة مع بريطانيا حامية الكيان الاردني !. الى أن تفجرت فى أرض الكنانة ثورة تجسدت فيها ارادة العرب وقوتهم وآمالهم واهدافهم .. عندئذ تغير الحال ، اصبحت اسرائيل عاجزة عن تادية دورها الاستعمارى ولم يعد لتهديداتها قيمة أو وزن بعد أن اصبحت الثورة العربية تملك جيشا يتسلح باحدث واثقل الاسلحة يلقن بها الجيش الصهيونى ويرد العدوان بالعدوان ، ويكيل الصاع صاعين ، ويحمى الحدود العربية كلها ويعتبر هذه الحدود كلها وحدة لاتتجزأ ، مؤكدة فى ذلك تصميم عبد الناصر على عدم السماح لاسرائيل أن تحقق أى مكسب .. بذلك تبددت اسطورة الخطر الصهيونى وخسر العملاء والاستعمار سلاحا رهيبا وزال عن الشعب الاردنى كابوس ثقيل وتهيات فرص العمل للحركة الوطنية الاردنية .

كانت المعركة الاولى التى خاضتها هذه الحركة ، بعد أن وثقت من قوة مساندة تمنع اسرائيل من استغلال الظروف وتمنع الاستعمار من التدخل المباشر ، مع جلوب الرمز الكبير للاستعمار البريطانى فى الأردن ..

فى اليوم الاول من مارس آذار ١٩٥٦ نجح الضباط الاحرار فى الجيش الاردنى من طرد جلوب وزمرته من الضباط الانكليز وبعض المأجورين ، كان فى هذا الطرد صفعة ثانية من شعب الاردن لبريطانيا ، خلال ثلاثة شهور .. وكانت الاولى صفعة حلف بغداد فى اواخر ديسمبر ١٩٥٥ .

وبسرعة عجيبة انتهى جلوب ، ولم تجرؤ اسرائيل على القيام

باي عمل عدواني أو استفزازي أو أي استغلال للظرف الطاريء خوفا من ردة الفعل التي كانت تتوقعها من الجيش المصري الذي لم يعد في عهد عبد الناصر كما كان في عهد فاروق جيشا بدون سلاح أو بدون ارادة .

وكان أول ما قاله جلوب بعد يقظته من الصفعة التي أفقدته كل مجده وقيمة خدماته لبلاده الاستعمارية . « لولا عبد الناصر لما انتهيت بهذه السرعة ولما تحول الاردن هذا التحول الخطير الذي يهدد مصالح بريطانيا في الشرق الاوسط كله » ... وجلوب بهذا القول أصاب الحقيقة ، لعله فعل ذلك لاول مرة في حياته التي تميزت بالخداع والتضليل والتآمر على سلامة العرب وأمنهم .

وبعملية الطرد هذه لممثل الاستعمار الكبير اكتشف الشعب الذي انتصر في حلف بغداد ، ثم في معركة تعريب الجيش وتحريره من القبضة الاجنبية ، انه قادر على خوض المعركة حتى النهاية مع بريطانيا .

لم تكن معركة جلوب رغم أهميتها هي الخاتمة ، أن القيمة الكبرى لهذه المعركة انها وضعت عبد الناصر وثورته وجها لوجه أمام المسئولية التاريخية ، ذلك أن الحركة الوطنية بعد النصر الذي حققته بطرد جلوب ، أصبحت في وضع لا يمكنها فيه الا أن تسلك أحد سبيلين لاثالث لهما .. اما مواصلة المعركة مع بريطانيا حتى يتحقق للاردن تحرره الكامل ... واما التقاعس عن ذلك والاكتفاء بطرد جلوب والمتاجرة الشعبية في عملية الطرد هذه .

وقبل أن تحدد هذه الحركة موقفها النهائي وتخوض المعركة الحاسمة كان عليها أن تتاكد من المدى الذي يمكن لعبد الناصر أن يقفه في هذه المعركة ... كانت المعركة تتطلب :

١ — تقديم مساعدة مالية عربية تساوي بالمقدار ماتدفعه بريطانيا للاردن .

٢ — ضمان منع اسرائيل من الاعتداء والمعركة محتدمة ، على حدود الاردن واحتلال جزء من أراضيه .

كان عبد الناصر وقتئذ في أوائل عام ١٩٥٧ خارجا من المعركة

الكبرى التي خاضها مع قوى فرنسا وبريطانيا واسرائيل ، وكان معنى ذلك أن امكانيات مصر كلها موجهة لازالة آثار العدوان واعادة بناء ما دمرته قنابل المعتدين .

ومع ذلك ، على الرغم من ضخامة المسئولية فى إعادة بناء مادمرته الحرب ، أكد للاردن بما لايحتاج الى شك ضعيف ، انه بكل امكانيات مصر العربية وثورتها العربية يقف الى جانب الاردن فى معركته التحررية ، ويتحمل بمسئولية تاريخية تامة تقديم معونة مالية سنوية تزيد عن المعونة التى كانت تقدمها بريطانيا للاردن كجزء من المعاهدة التى كانت تجعل الاردن تحت رحمة بريطانيا ... وغير ذلك أيضا ، تتعهد للاردن حماية حدوده من أى اعتداء صهيونى .

ولم يعد أمام الحركة الوطنية الاردنية وقد لقيت من عبدالناصر كل هذه المساندة الا أن تسلك الطريق الاول ... طريق خوض المعركة النهائية مع بريطانيا .

اكثر من ذلك ، أن عبدالناصر ليطمئن الاردن على حقيقة موقفه، وعلى أن هذا الموقف نابع من المسئولية القومية التى يتحملها اتفق مع شكرى القوتلى رئيس جمهورية سوريا وقتذاك ومع الملك سعود فى فبراير ١٩٥٦ على دفع معونة مالية سنوية للاردن مقدارها ١٢ مليونا ونصف المليون من الجنيهات المصرية تتحمل مصر منها مبلغ خمسة ملايين جنيه .. وتم بعد هذا ، توقيع ميثاق التضامن العربى بين مصر وسوريا والاردن والسعودية تتعهد الدول الاربعة بموجبه على العمل المشترك الواحد لانقاذ فلسطين ورد أى عدوان اسرائيلى تتعرض له الدول العربية .

بذلك ، لم يتحمل عبد الناصر المسئولية القومية فحسب ، بل انه أعطى السلاح الذى يمكن للحركة الوطنية الاردنية أن تحارب به . ولقد حاربت هذه الحركة بسلاح عبد الناصر ، بالارادة وبالثقة وبالامكانيات المادية والعسكرية والمالية وبالتاييد التام والحماية اللازمة .. وفى خلال أسبوعين اثنين ، أى عند منتصف شهر مارس كان الاردن قد أنهى المعاهدة البريطانية الاردنية والغى المعونة المالية وتحرر من قبضة بريطانيا الاستعمارية ...

ولئن كان عمر هذا التحرر قصيرا فان المسئولية فى ذلك يتحملها العملاء الذين تآمروا على انتصارات الشعب وأرادوا أن يكونوا خناجر مسمومة فى يد الاستعمار يطعن بها الشعب الاردنى طعنات غادرة منذ أكثر من أربع سنوات ، منذ ابريل ١٩٥٧ .

ومن الانصاف أن نسجل بان الحركة الوطنية التى كانت تمسك بيديها مقاليد الحكم ، بسبب وجود العناصر الانتهازية فى صفوفها وعدم وعيها وارتفاعها الى مستوى المعركة والاحداث والمؤامرات تتحمل بعض المسئولية فى النكسة التى أضاعت جميع المكاسب التى حققها الشعب بدمائه وجهاده وتضحياته لانها تقاعست وترددت فى حسم الموقف وفى المحافظة على الانتصارات التى غدت أمانة وضعها الشعب بين يديها الوطنية .

وليس المجال الآن للحديث عن تلك النكسة وأسبابها ، انما يجب أن نبحث قليلا عن الدوافع الاستعمارية التى من أجلها تآمر فى الاردن وبذل الكثير من الامكانيات والجهد فى سبيل استعادة الاردن الى حظيرته ..

فعل الاستعمار ذلك من أجل هدفين رئيسيين :

الاول — لحماية اسرائيل .

والثانى — لضرب الثورة التى غدت الحركة القومية العربية الثورية الهادفة الى تحقيق الوحدة الشاملة وتصفية قلاع الاستعمار ونفوذه من عالمنا العربى ومن كل مراكزه فى العالم .

لقد عاشت اسرائيل بعد فشل العدوان ، ثم بعد انتصار الاردن على بريطانيا فى تحرره من المعاهدة والمعونة المالية ، وبعد سير الاردن فى القافلة العربية المتحررة التى يتزعمها عبد الناصر ويقودها لسحق اسرائيل واستعادة الديار المغتصبة ، أياما من عام ١٩٥٧ تعتبر أخطر أيام الوجود الصهيونى فى فلسطين .. تمتد تلك الايام بين فبراير وابريل ، وهى رغم قصرها كانت بالنسبة لاسرائيل حالكة السواد تحمل فى طياتها الموت والدمار والفناء .

خطورة تلك الايام كانت فى أن مصر وسوريا والاردن غدت متحررة كل التحرر لاول مرة فى تاريخ العرب الحديث .. كانت الاردن هى آخر قلعة يتخذها الاستعمار لحماية الوجود الصهيونى

فى فلسطين .. وعندما استعيدت هذه القلعة وغدت عربية متحررة تسير مع مصر وســـوريا اللتين تطوقان اسرائيل من الشمال والجنوب أصبحت القاعدة الاستعمارية أو الوجود الصهيونى محاطا من جميع الجهات ، اللهم غير البحر ، وسيادة البحر كانت قد أضحت بيد مصر ، بجيش عربى واحد وأهداف قومية واحدة وقيادة عربية يتولاها عبد الحكيم عامر .. بذلك كان حزام الموت قد اكتمل حول اسرائيل ، وأصبح الجسر الذى أعد للعبور الى الوطن العربى مهددا بالنسف والتدمير .

ولقد زاد من الاخطار المحدقة بالوجود الصهيونى وقتذاك ان اكتمال حزام الموت حدث بعد العدوان الثلاثى الذى خرج منه عبد الناصر عملاقا يمثل الارادة العربية وتلتف حوله جماهير الامة العربية كلها .. وعبد الناصر بالنسبة للصهيونية والاستعمار بعد الفشل الذريع ، رغم امكانياتهما ومواردهما ، فى تسجيل أى هدف أو تحقيق اى نصر عليه مهما صــغر شان ذلك النصر ، أصبح يعنى اكثر من خطر فى المنطقة العربية يهدد المصالح الاستعمارية أو الوجود الصهيونى ، صار يعنى قوة ثورية مصممة باصرار وارادة على تحرير الوطن العربى كله واستعادة الوطن السليب كله .. خاصة وان القوة الثورية لم تعد محصورة فى حدود مصر الاقليمية كما حاول الاستعمار أن تكون ، ، انما انطلقت من هذه الحدود الاقليمية لتعم العالم العربى كله ثم لتتمثل حقيقة كبرى فى حزام الموت المحيط باسرائيل .

كان أحد اغراض الوجود الصهيونى ، منع أى تكتل أو اى اتحاد او اى تضامن عربى يهدد الاستعمار واسرائيل أو يهدد عملاء الاستعمار وركائزه فى المنطقة ، ولكن الاحداث التى تمخضت بعد ثورة ٢٣ يوليو فى المنطقة العربية جعلت اسرائيل مشلولة عاجزة عن العمل .. فالاتحاد الذى وجدت لتحاربه ، لم يعد مجرد دعوة لقد أصبح حقيقة تسطع منها أشعة الموت .. والتضامن الذى وجدت لتحول دون تحققه ، لم يعد مجرد أمل ... لقد أصبح حزاما قاتلا للوجود الصهيونى .

كان الوجود الصهيونى فى تلك الفترة يحس باليد العربية تزعزع أركانه ، ويلمس القوة العربية تتحرك لتدميره ... وكان الاستعمار يرى القاعدة التى أوجدها لتحقق له فى العـــالم العربى أهدافا

واغراضا مهددة بالسحق .. وفى حاجة ماسة للانقاذ والحماية

ولم يكن هناك اى سبيل لانقاذ هذا الوجود العدوانى الذى يمثل رأس جسر للاستعمار والصــهيونية غير تحطيم حزام الموت الملتف حول اسرائيل ..

تحرك الاستعمار لتحطيم هذا الحزام . فلم يجد مكانا ينفذ منه غير الاردن ، ونجح الاستعمار أن يفتح ثغرة فى الاردن ، ثم نجح فى توسيع هذه الثغرة باعادة سيطرته على الاردن ، واخراج هذا البلدالعربى ذىالموقعالاستراتيجىالهام منمنطقة حزامالموت . وتقطع هذا الحزام ، بفعل الخيانة والتآمر واللاوعى ، الى حين .

اذن ، كان تحطيم « حزام الموت » هو الهدف الاول من المؤامرة الاستعمارية التى نفذت فى الاردن فى ابريل عام ١٩٥٧ ، ولقد تحطم الحزام ، وامتد بذلك عمر اسرائيل سنين أخرى ..

أما الهدف الثانى ، فهو ضرب الثورة ، او ضرب الحركة القومية العربية الثورية التى تطورت اليها الثورة فى غضون أعوام قليلة باسلوب جديد ووسيلة جديدة .

ليست هذه هى المحاولة الاولى لضرب الثورة .. فقد سبقتها محاولات كثيرة كانت القمة فيها تلك الحرب التى شنتها بريطانيا وفرنسا واسرائيل عام ١٩٥٦ ، والتى لم يكن هدفها احتلال قناة السويس المؤممة بقدر ما كان هدفها تدمير الثورة، ذلك لان القوى الاستعمارية كانت تحس بخطورة هذه الثورة احساس الرجل المحاصر فى زاوية تنهال عليه السياط من كل جانب . ان الدول الاستعمارية كانت تعلم علم اليقين بانها لو نجحت فى الاستيلاء على قناة السويس دون أن تحطم الثورة وقوتها العسكرية فانها ستبقى عاجزة ليس فى الاحتفاظ بهذه القناة فحسب ، بل وفى حماية جميع المصالح الاستعمارية فى الوطن العربى كله . لذلك كان الهدف هو ضرب الثورة وتدميرها بعد أن تحقق الفشل فى امكانية حصرها ضمن حدود مصر ، ولكن الثورة بقيادتها الحكيمة الحازمة نجت من مكائد ومؤامرات الاستعمار والصهيونية محتفظة بقوتها وارادتها وثوريتها .

وتوقع الاستعمار أن تتلهى الثورة بمخلفات الحرب فتنصرف

ولو لمرحلة زمنية عن المعركة التي تخوضها الجزائر ، أو عن معركة التحرر التي يخوضها الشعب العربي في كل قطر من اقطاره ، أو عن معركة الاردن التي بدأت في ديسمبر ١٩٥٥ واستمرت تتاجج وتقترب من مراحلها الحاسمة في أوائل عام ١٩٥٧ .

توقع الاستعمار أن تعجز الثورة عن تقديم العون للجزائر فتخر صرعى تحت أقدام فرنسا ، ولكن حرب الجزائر بعد العدوان ازدادت ضراوة وقوة وازداد جيش التحرير الجزائري تسلحا ومقدرة على الحرب .

كذلك توقع الاستعمار أن تعجز الثورة عن دعم الشعب الاردني في كفاحه البطولي فيكسب الجولة ويضمن لنفسه البقاء واستعادة السيطرة على الجيش المتحرر المتمرد ، ولكن تطور الاحداث في الاردن أيضا كان على عكس ما توقع الاستعمار ، اذ أن الثورة بقيت تتحمل المسئولية القومية والتاريخية فتمد يد العون لكل انتفاضة تحررية ينتفضها الشعب العربي في أجزائه المتناثرة ، ومن خلال تحملها للمسئولية القومية تحملت أعباء معركة الاردن . . . وتحقق للشعب العربي في الاردن تحقيق انتصارات حاسمة كان من نتائجها حزام الموت الملتف حول اسرئيل .

مرة أخرى ، وبسرعة أكثر مما قدر ، وجد الاستعمار نفسه وجها لوجه في معركة حاسمة مع الثورة . . لقد جازف بكل امكانياته المادية والمعنوية لضرب الثورة وحصر نيرانها ، ولكن هذه النيران امتدت بعد العدوان بسرعة مذهلة ، فهاهي النيران تلتهم المعاهدة البريطانية الاردنية وتحرق المعونة المالية البريطانية وتدمر قلاع الاستعمار التي اتخذها مراكز حماية لاسرائيل ، انه يرى نيران الثورة تهدد وجوده ومصالحه أكثر من ذي قبل ، ولذلك قرر أن يعاود الحرب معها دفاعا عن نفسه وعن القاعدة التي أعدها للغزو والهجوم .

لم يعمد الى العدوان المسلح ، فقد جرب هذا النوع من المحاربة قبل ثلاثة أشهر فقط وفشل فيه فشلا أفقده الكثير من هيبته وسمعته ، انما عمد الى ضرب هذه الثورة في الانتصارات التي تحققت بفعلها وزادتها بذلك قوة ومقدرة على الحركة والانطلاق . . يتضح من هذا أن الهدف الاستعماري لم يتغير ، انه اليوم كما

كان عند تفجر هذه الثورة ... الهدف هو ضرب الثورة . ولكن أسلوب الضرب هو الذى يتغير تبعاً للمراحل التى تمر بها هذه الثورة العربية .. الحصار الاقتصادى كان أسلوبا والعدوان الثلاثى كان اسلوبا آخر ، واحتكار السلاح كان اسلوبا ثالثا ، وحرب التشويش عن طريق الاذاعات كان اسلوبا رابعا ، والتآمر من الداخل كان اسلوبا خامسا ، ومحاولة الاعتداء على حياة رمز الثورة وقائدها كان أسلوبا سادسا .. ثم هناك أساليب أخرى كثيرة التنوع انتهت الى الفشل المخزى ، ومع ذلك فان أساليب الاستعمار لم تنفذ ، ويجب ألا نتوقع نفاذها مادام له وجود فى العالم

الاسلوب الجديد لصد تيار الثورة الذى واصل انطلاقه بعد العدوان الثلاثى هو استعادة المراكز التى خسرها الاستعمار ... أى المراكز التى كسبتها الحركة القومية العربية الثورية .. ثم اتخاذ هذه المراكز مواقع هجومية ضد الثورة بغية حصرها والتقليل من شانها ، واضعاف ثقة العرب بها ، وزعزعة ايمانهم بقائدها .

كانت الاردن ، لاعتبارات كثيرة .. أهمها نظام الحكم وسلامة جبهة العملاء ، ومقدرة هؤلاء العملاء على العمل فيها ، ثم اتساع المجال امام بريطانيا وأمريكا للتآمر هناك مع عدم توفر التجربة لدى الحركة الوطنية الحاكمة وقتذاك .. أضعف المراكز التى وصلت اليها حركة التحرر العربى ، ولذلك فان الاستعمار بدأ أسلوبه الجديد فيها .. تآمر مع العملاء والرجعية والانتهازية ، وحقق نصرا موضوعيا فى استعادة بعض المراكز ، ثم اتخذ هذه المراكز مواقع هجوم على الثورة وقادتها .. ولكنه لم ينجح فى احراز أى تقدم ، فبقيت الثورة متأججة وتيارها قوى يلف العالم العربى ويوقظ الجماهير على واقعها ويهز الوجود الاستعمارى ومصالحه هزا عنيفا متواصلا . بل أن هذا التيار الثورى لم يتوقف عن الحركة فى الاردن التى استعادها الاستعمار ، انه هناك كما فى بقية العالم العربى ، ارادة تتحفز وقوة تجعل الاستعمار والعملاء من شدتها يعيشون عيشا متواصلا منذ أربع سنوات على أطراف أعصابهم، يحتمون بالارهاب والبطش والتنكيل وبتحويل الاردن كله الى معتقل واسع للشعب العربى هناك كله .

من أجل هذين الهدفين ، من أجل حماية اسرائيل ، ثم من أجل

ضربه الثورة التى لم ينجح العدوان المسلح بتوقيف زحف تيارها وانطلاقه الجبار ، وضع الاستعمار كل قواه وثقله فى الاردن ، وكسب جولة هناك ترتب عليها تخفيف شدة ضغط حزام الموت على اسرائيل لفترة قصيرة فقط .. أما الثورة فان ضربها أهون منه الوصول الى المريخ بدون سفينة فضاء . فقد استمر تيارها الثورى فى اندفاعه الجارف يهدم القلاع الاستعمارية ويبنى الوجود العربى القادر على مواجهة تحدى الوجود الصهيونى المقيم كالسرطان فى قلب الوطن العربى .

لقد اعتبرت نكسة الاردن تحديا خطيرا للارادة العربية، ووجب على هذه الارادة أن تواجه التحدى الجديد ، الذى اذا أضيف الى التحدى الصهيونى الاستعمارى المتمثل باسرائيل يشكل خطرا على الوجود العربى كله ، بقوة الثورة ومفهومها .

لو أن الارادة العربية عجزت عن التحدى الذى واجهته فى الاردن لكان ذلك يعنى عجزا فى التحدى الذى تواجهه الامة العربية من الصهيونية العالمية .. وأكثر من ذلك ، لكان يعنى بداية الطريق التى يمكن أن ينطلق منها الاستعمار لتوجيه ضربات قوية للثورة

ولكن الذى حدث ، أثبت مقدرة الارادة العربية على مواجهة التحدى والصمود فى وجه أخطاره وتحقيق انتصارات زادت من قوة اندفاع التيار الثورى وشدة انطلاقه وتهديده للوجود الصهيونى والوجود الاستعمارى على السواء .

كانت خطة الاستعمار بعد استعادته للاردن ان يقفز الى سوريا التى تشكل الطرف الشمالى الهام من حزام الموت المحيط باسرائيل وسعى الى هذه القفزة بكل قواه وامكانياته وبكل الأعداء المحيطين بسوريا وبكل العملاء الذين كانوا موجودين فى سوريا ... ولست اريد أن اقول انه فشل فى ذلك لان النصر الذى حققته الثورة العربية أكبر بكثير من أن يقاس بفشل الاستعمار فى سوريا ، أو فى قفزته الثانية التى استعد لها بعد نجاح قفزته فى الأردن . .
هدف الاستعمار فى ذلك الوقت ، وهو كهدف استراتيجى موجود حتى اليوم كان يرمى الى الاستيلاء على سوريا لتحقيق الهدفين اللذين من أجلهما قام بقفزته على الاردن .. حماية اسرائيل وضرب الثورة ، غير أن الاستيلاء على سوريا بعد سيطرته

على الاردن كان يعني لو تحقق حصر الثورة داخل الحدود المصرية وتضييق الخناق الشديد عليها وخلق المتاعب الكثيرة لالهائها وابعادها عن معركة التحرر التي يخوضها الشعب العربي ..

لو تم الاستيلاء على سوريا ، لتحقق للاستعمار بذلك اقامة حكومات في العالم العربي كله يمكن تشبيهها بالقلاع التي تخرج منها قوى متعددة تتعاون في الحصار الشديد الذي يضرب على مصر الثورة وعلى تيارها القومي الجارف .. على الاقل ، كان يمكن لهذا الاستيلاء لو تحقق أن يضمن تثبيت الوجود الصهيوني وان يخلق متاعب لا حصر لها للوجود العربي وأن يعوق الحركة القومية العربية عن الوصول الى اهدافها ثم ان يجعل الثورة التي تهدد الوجود الصهيوني والاستعماري مهددة تهديدا مباشرا بالغ الخطورة

طبعا لم يتم الاستيلاء الاستعماري ، حتى القفزة التي استعد لها الاستعمار لم تتم .. فقد تمكن الشعب والجيش في سوريا من حماية سوريا رغم احاطتها بالاعداء من كل الجهات تماما كاحاطة السوار للمعصم ... اسرائيل تجثم متحفزة على جانب من الحدود ، والى جوارها الاردن التي سقطت بفعل التآمر والخيانة ، والى الشرق كان يوجد نوري السعيد وعبد الاله اللذان حتى لحظات سحلهما في شوارع بغداد وتعليق ماتبقى من عظامهما على اعمدة الكهرباء كانا يتآمران على سلامة سوريا واستقلالها وأمنها ، والى الشمال توجد تركيا مغتصبة لواء الاسكندرونة الحاقدة بالطبيعة على العرب والقاعدة الكبرى للاستعمار الغربي .. ومن الغرب لبنان ، وكان يتحكم في لبنان كميل شمعون .

في زحمة التآمر على سوريا ، كان التيار الثوري المنطلق من القاهرة يتفاعل بقوة مع الارادة العربية في سوريا .. ونتج عن هذا التفاعل قوة غيرت الواقع السياسي في الشرق الاوسط كله وأكدت الوجود العربي وقدرته على التحدي .

بهذا التفاعل حققت الثورة انتصارا تاريخيا هو اعظم انتصاراتها واعظم ماتحقق للامة العربية في تاريخها منذ عهد صلاح الدين الايوبي قبل ٨٠٠ عام .. قيمة هذا الانتصار ليس في كونه تحقيقا للارادة العربية وللشعارات القومية العربية فحسب ، بل في كونه هزيمة نكراء للاستعمار وتحطيما لمشاريعه وخططه وحواجزه وآماله وعملائه .

اتخذ الاستعمار من فلسفة « فرق تسد » دستورا مقدسا يحكم بموجبه عالمنا العربى . ولقد اتخذ هذا الدستور فى المجالين القومى والاقليمى .. على المستوى القومى جزأ الامة الواحدة الى مجموعة من الشعوب ، والوطن الواحد الى مجموعة من الدويلات الضعيفة .. ثم اوجد فيها حركات دخيلة كحركة القوميين السوريين والكتائبيين والاخوان المسلمين والفرعونيين .. وعلى المستوى الاقليمى خلق تناقضات اجتماعية وانقسامات عشائرية ومنافسات عائلية وعصبية . وحارب فى المجالين الوعى القومى أو اية حركة ترفع شعار الوحدة أو وحدة النضال ..ومن أجل تأكيد التجزئة وتأكيد محاربته للوحدة العربية ، أوجد اسرائيل لتكون حاجزا بشريا يفصل عرب آسيا عن عرب افريقيا .

ولكن خلق اسرائيل كان بداية لمعركة طويلة بين العرب والاستعمار ، والمعركة مازالت محتدمة منذ أكثر من ثلاثة عشر عاما .. كانت هذه المعركة قد اشتعلت منذ وطئت أقدام الاستعمار أرضنا العربية ، ولكنها لم تاخذ شكل التحدى والعنف الذى بدأت تتخذه بعد اقامة اسرائيل ، لان خلق وجود عدائى للوجود العربى كان استفزازا للارادة العربية ردت عليه بثورة لها قدرة حماية الوجود العربى من أخطار الصهيونية واطماع الاستعمار .

أهداف الاستعمار من وراء التجزئة التى أوجدها ثم أوجد طبقات تحافظ عليها وتحميها ، هو ابقاء العالم العربى ضعيفا ، وبهذا الضعف يقدر على الاحتفاظ به جزءا أساسيا من استراتيجيته العسكرية ، ومجالا واسعا لاحتكاراته ومصالحه ، وكان خلق اسرائيل جزءا من خطته التى يهدف بها محاربة الوحدة العربية التى يعنى تحققها نهاية حتمية للاستعمار وجودا ومصلحة فى العالم العربى كله .

غير أن هذه المحاربة رغم كثرة الاسلحة والاساليب التى اتبعت ، ورغم وجود اسرائيل ودورها ، لم تمنع قيام الوحدة..

لقد التقت عناصر كثيرة جدا فى محاربة هذه الوحدة

الاستعمار يحاربها من أجل ابقاء العالم العربى منطقة نفوذ له لاينازعه أحد فى خيراته أو موقعه الممتاز .

والصهيونية العالمية تحارب الوحدة لان تحققها يعنى بالبداهة

استحالة تحقق المخطط الصهيوني واستحالة الاحتفاظ بالقاعدة التي وجدت أو راس الجسر الذي أقيم وأعد للعبور والغزو ..

والطبقات العميلة التي ترتبط مصيرا ووجودا بمصير الاستعمار والتجزئة ، تحارب الوحدة لان صيرورتها حقيقة قائمة تعني بالنسبة لها أي بالنسبة للطبقات العميلة نهاية لوجودها .

رغم هذا الالتقاء بين هذه العناصر ، فان ارادة الامة العربية كانت أقوى منها مجتمعة ، بدليل ان الهدف الذي يحاربونه بكل القوى والامكانيات تم بلوغه والوصول اليه بعد معركة يمكن اعتبارها من حيث المستوى ، حاسمه بالنسبة للوجود العربي ، لان انتصار الحركة القومية العربية في هذه المعركة هو انتصار فعلي للوجود العربي الذي أخذ ينمو مع نمو ثورة ٢٣ يوليو ويتطور بتطورها وبالمراحل التي تمر بها ، ثم بالانتصارات التي تحققها .. ولو اننا نأخذ الامر من الناحية السلبية فنفترض عدم النجاح في هذه المعركة لكان الوجود العربي كله مهددا باخطار لا حصر لها .. ثم لو اننا ناخذ الامر اياه من الناحية الايجابية لوجدنا أن النصر في المعركة يعد اعظم الانتصارات التي حققتها الثورة بعد وجودها الذي لولاه لما تحققت سلسلة الانتصارات ولما أصبح الوجود العربي قادرا على مواجهة التحدي التاريخي الذي يهدده تهديدا خطيرا .. ثم لما تحقق الوصول الى الهدف الكبير الذي قذف الاستعمار والصهيونية العالمية والطبقات العميلة بكل ثقلها في طريقه

لولا الثورة لما تحققت الوحدة ، هذه حقيقة تاريخية لايقدر أحد على انكارها أو التقليل من وضوحها . تماما كما يستحيل على المرء أن ينكر بانه لولا الثورة لما تم الجلاء عن مصر ، ولما تحقق الاستقلال للسودان ، ولما تاممت قناة السويس ، ولما وجد الاصلاح الزراعي ولا الثورة الصناعية ، ولما بني المجتمع العربي الاشتراكي التعاوني الديمقراطي على أنقاض المجتمع الفاسد ولما كان النصر في معركة احتكار السلاح التي ترتب عليها تزويد الجيش العربي بقوة قادرة على حماية الوجود العربي ودعم الشعوب في معارك تحررها ، ثم لولا الثورة لما تحققت الانتصارات القومية العربية ، ولما ارتفع مستوى النضال العربي الى المستوى القومي ، ولما توقفت الصهيونية العالمية عن اعتداءاتها وغزواتها .. أيضا ،

لولا الثورة لما تحققت أشياء كثيرة نعيشها ونتمتع بها ونجد لذة في حمايتها والدفاع عنها .

قبل الثورة كان المجتمع العربي في مصر عرضه لكثير من التيارات التي تحارب العروبة وتنكر على مصر عروبتها ، كانت تلك الحركات ان لم يكن الاستعمار هو المحرك لها تلتقي مع الاستعمار في تشويه وجه مصر العربي ، وكان من الصعب وقتئذ أن يجد المرء في مصر حركة عربية قادرة على مواجهة الحركات الدخيلة والاستعمارية ، ثم قامت الثورة ، وبقيامها برز وجه مصر العربي نقيا . وتلاشت الحركات العدائية ، وبدأت مصر بامكانياتها وطاقاتها البشرية ومواردها المادية تتولى مسئوليتها التاريخية بتولى قيادة النضال العربي .

قبل الثورة ، كانت ترتفع في العالم العربي خاصة في المنطقة الشمالية من القسم الاسيوي شعارات تنادي بالوحدة ، ولكن هذه الشعارات لم تجد حركة قومية قادرة على ترجمتها الى عمل حقيقي تلمسه الجماهير العربية .. لقد وجدت هذه الشعارات حركة قومية أدت دورا ايجابيا في تجميع الجماهير الشعبية حولها ، ولكنها عجزت كل العجز في الانتقال بهذه الشعارات من مرحلة رفعها والهتاف بها الى مرحلة تطبيقها وتنفيذها .

وقبل الثورة ، كانت الامة العربية تعيش في فراغ كبير ، فقد كانت هذه الامة بدون زعيم تلتف حوله بثقة وايمان .. ولعل ذلك ، عدم وجود الزعيم الذي تلتف حوله الامة أحد الاسباب الكبرى التي أعاقت نمو الوعي القومي وبالتالي اعاقت تحقق الوحدة أو الانتقال بالامة من مرحلة رفع الشعار الى مرحلة تنفيذ وتطبيق هذا الشعار على الطبيعة ..

من هذه الظواهر الثلاثة الكبرى التي كانت تعيشها امتنا ، يمكن أن نقيس قيمة الثورة على المستوى القومي .

بعد قيامها لم يعد في مصر غير الحركة القومية العربية .. سبب ذلك أن جميع الحركات الاخرى كانت ترتبط مصيرا ووجودا بالنفوذ الاجنبي ونظام الحكم الفاسد والطبقات العميلة والمصلحية ، وعندما تفجرت الثورة تلاشى النفوذ الاجنبي وزال النظام الفاسد ولم يعد للطبقات العميلة والمصلحية وجود ، وكان من الطبيعي أن

تتلاشى معها الحركات التى كانت ترتبط بها مصيرا ووجودا ،، بذلك عاد الصفاء الى وجه مصر العربى .

وبقيام هذه الثورة ظهر فى أمتنا عبدالناصر يجود لها باخلاص ووفاء بكل جهده وكل صحته وكل لحظة من لحظات عمره ، فتجسدت فيه آمال الامة العربية كلها ، والتفت حوله الجماهير العربية كلها .. بذلك سد الفراغ الذى كانت تشكو منه امتنا ، لقد اكتشف الشعب العربى بعبد الناصر الارادة العربية والمبادىء القومية بعد حقبة طويلة من الزمن لم يعرف فيها غير حكام ورجالات يبرعون فى الخداع والتضليل براعتهم فى العمالة والخيانة .. وصار الشعب من كثرة تجاربه مع هؤلاء يمتنع عن الثقة باحد الا بالتجربة .. والوحيد الذى كسب الثقة منذ حوالى ألف عام هو عبد الناصر ، وقد كسبها بالتجربة أيضا .. ان أعماله الثورية هى التى جعلت الشعب العربى كله يلتف حوله التفافه حول امانيه وآماله ومصيره ..

وكنتيجة حتمية لوجود الزعيم الثورى الذى تسلمه الامة زمام القيادة ، ثم لتوفر الامكانيات المادية والطاقات البشرية فى جزء هام من العالم العربى هو مصر ، لابد من أن تقطع الامة فى مسيرتها الكبرى مسافات بعيدة ، وان تصل فى هذه المسافات الى بعض الاهداف .

أن مسيرة الامة العربية منذ آن انطلقت صيحة محمد بن عبدالله فوق كثبان الصحراء قبل اربعة عشر قرنا تستهدف تحقيق وحدة شاملة لامة العرب ، تكفل لهم العزة والكرامة والمهابة والحماية .. ولئن كانت هذه الامة تصل الى هذه الوحدة حينا وترتد عنها حينا آخر بفعل عوامل كثيرة ، الا انها لم تتباطأ فى هذه المسيرة الا فى الفترات التى كان ينعدم فيها زعيم يقودها ويجمع كلمتها ويلم شملها .. لذلك نرى فى مثل تلك الفترات التى تنعدم فيها الزعامة الحقيقية ، انقسامات تزداد وتتكاثر بفعل العوامل الاستعمارية والعصبية ، ويترتب على ذلك ضعف شامل للامة .. ولكن هذا الضعف يتحول فور ظهور الزعيم القومى الى قوة ثورية وارادة خلاقه قادرة على جمع الشمل وتحقيق الوحدة من جديد .

وعبد الناصر ، الزعيم الثورى فى هذه المرحلة التاريخية التى تخوض فيها الامة العربية معركة المصير والوجود ، يقود هذه الامة فى مسيرتها الكبرى الى الوحدة الشاملة .. ولقد وصل بهذه الامة الى الخط الاول من خطوط الوحدة الكبرى .

فى يوم ٢٢ فبراير (شباط) ١٩٥٨ أعلن مولد الجمهورية العربية المتحدة . والمعنى الكبير الذى حمله مولد هذه الجمهورية أن الثورة التى قامت يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ تحولت الى حركة قومية قادرة على العمل والحركة والانطلاق بالمستوى القومى ، وان هذه الحركة بتفاعلها مع الارادة العربية فى سوريا خلقت النواة السليمة القوية للوحدة العربية الشاملة .

بتحقق هذه الوحدة اصبح للعرب دولة كبرى قادرة على حماية الوجود العربى من كل الاخطار وكل المؤامرات التى يستهدفها ، وقاعدة كبرى تمد معركة التحرر العربى بالامكانيات المادية والطاقات التى تكفل احراز نصر حاسم ، وقائدة ترتاد المجهول وتشق الطريق للامة العربية لتكمل المسيرة الكبرى .

ثم بتحقيق هذه الوحدة انتقلت الامة العربية من مرحلة رفع الشعار الى مرحلة تطبيق هذا الشعار .. كان الشعار العربى القومى ينادى بالوحدة والتحرر والاشتراكية .. وجاءت الثورة حركة قومية عربية يقودها عبد الناصر تجعل من الوحدة والتحرر والاشتراكية حقيقة يلمسها المواطن العربى ويلمسها كل مواطن فى العالم ..

الوحدة التى تحققت هى ثمرة للتحرر كذلك الاشتراكية ، معنى هذا أن الاهداف القومية الكبرى الثلاث ، الوحدة والتحرر والاشتراكية ، متلازمة متكاملة لا يتحقق واحد منها الا بتحقق الاخر . فالوحدة لم تتحقق ، وما كان لها أن تتحقق بدون التحرر ، والاشتراكية التى ينعدم فى ظلها ، استغلال الانسان لجهد أخيه الانسان ، كما ينعدم الاحتكار وسوء توزيع الثروة يستحيل اقامتها فى بلد غير متحرر اللهم الا اذا كان ذلك البلد خاضعا لنفوذ وسيطرة دولة اشتراكية .

لو أننا نأخذ هذا القول ونطبقه على واقع العالم العربى لوجدنا أن مصر قبل الثورة لم تكن تمارس استقلالها ، أى انها لم تكن

متحررة ، كانت خاضعة للنفوذ الإستعماري ، ولم يكن فى العالم العربى غير سوريا تستمتع باستقلال حقيقى ، ولكنها فى الوقت ذاته كانت عاجزة عن التفاعل مع أى قطر عربى آخر لإنعدام القطر العربى المتحرر ، وعرضة لسلسلة طويلة من الاطماع والمؤامرات الهادفة الى فرض السيطرة الاستعمارية عليها عن طريق ضمها الى الاردن حينا والى العراق حينا آخر .. وزالت هذه الحالة التى تمنع التفاعل وبالتالى تمنع تحقق الوحدة بقيام ثورة ٢٣ يوليو فى مصر ، بهذه الثورة أصبحت مصر متحررة من كل نفوذ وأصبحت تمارس استقلالها الفعلى ممارسة عملية كاملة وغدت بذلك تتحمل مسئوليتها التاريخية القومية فى قيادة الامةالعربية نحو أهدافها الكبرى ، والوحدة أحد هذه الاهداف الكبرى ، وقد تحققت بين مصر وسوريا لانهما البلدان العربيان الوحيدان اللذان يتمتعان بالتحرر . وكان تحققها مسئولية تاريخية يتحملها عبد الناصر رغم كونها تعبيرا عمليا لارادة الثورة العربية والشعب العربى فى كل من مصر وسوريا...

أما كونها مسئولية تاريخية فذلك لان الوحدة بعد تحققها تكون فى حاجة الى حماية وتنمية ، ومهمة حماية الانتصارات تفوق من حيث الاهمية والمسئولية القيمة الحقيقية لاية انتصارات ، لان الخسارة التى تصيب أى نصر تحقق ، لاتعنى فقط أن الاستعمار استعاد بعض المراكز التى فقدها .. انما تعنى نكسة خطيرة تصيب الحركة الثورية كلها ، ولذلك كانت حماية الوحدة أهم من تحقق الوحدة ، ذلك لان اية نكسة تصيب هذه الوحدة تعنى التقهقر الى الوراء كثيرا .. ربما الى أبعد من مرحلة رفع الشعار ... يصبح شعار الوحدة بحدذاته فى خطر كبير وتصبح الحركة القومية كلها فى خطر أكبر أيضا .. وفوق هذا يصبح المواطن العربى الذى اكتشف ذاته وارادته بعد الثورة عرضة الى الشك بهذه الارادة وفى ذلك خطر لا يمكن تحديد أبعاده .

وكونها تاريخية أيضا يعود الى كون هذه المرحلة فى حياةامتنا هى مرحلة مصير ووجود ، وأية انتكاسة خطيرة فيها تؤثر على زمام المبادرة فى هذه المعركة الذى اخذ العرب يمسكون به بعد ثورة ٢٣ يوليو .

وكونها قومية يعود الى ان الوحدة بين مصر وسوريا هى نواة للوحدة القومية الشاملة التى يسعى اليها العرب ، عدا عن كونها أكبر أهدافهم واجمل أمانيهم ، وأى انتكاس يصيبها بعد تحققها يقلل الى حد كبير من حماس الالتفاف حول شعارها بل ويتيح الفرصة للعناصر المعادية لان تكسب الكثير على حساب هذا الانتكاس ..

وتحمل الرائد العربى المسئولية التاريخية القومية وهو على علم اليقين بان الاستعمار والصهيونية العالمية والعملاء فى المنطقة ثم الشيوعية الدولية تحارب هذه الوحدة وستزداد محاربتها بعد تحققها لان تحققها يشكل أخطارا على استراتيجيتها وعلى خططها ومصالحها ..

استراتيجية الاستعمار تقوم على أساس الاحتفاظ بالوطن العربى ثابتا يدور فى فلكه بلا ارادة .

واستراتيجية الصهيونية العالمية تقوم على أساس تحقيق حلمها الكبير فى سيطرتها على البلاد العربية الممتدة من الفرات فى العراق الى النيل فى مصر أى فلسطين كلها والاردن ولبنان وسوريا والعراق ومصر .

واستراتيجية الشيوعية الدولية، ان تسيطر على العالم العربى كجزء من أهدافها الرامية الى السيطرة الشاملة على العالم كله .

وتحقق الوحدة بقيادة عبد الناصر الذى تتجسد فيه أمانى الامة العربية القومية يعنى قيام دولة عربية قوية تهدد الوجود الاستعمارى فى العالم العربى وفى غيره من الاقطار العالمية ،وتجعل أحلام الصهيونية مستحيلات تفوق استحالة ازالة التناقض الحتمى الموجود بين الشيوعية والرأسمالية ، وتكون عقبة كأداء فى طريق زحف الشيوعية الدولية عدا تصفيتها للاحزاب الشيوعية التى تعتبر طلائع الزحف .

لذلك كان الالتقاء غير الارادى بين الاستعمار والصهيونية العالمية من جهة وبين الشيوعية الدولية من جهة أخرى .

ورغم هذا الالتقاء فان عبد الناصر الذى يتحمل المسئولية القيادية بروح ثورية قبل تحمل مسئولية تحقيق هذه الوحدة،

بذلك تحقق للعرب هدف كبير طالما منوا أنفسهم به ودفعوا شعاره وجادوا بالدماء والارواح فى سبيل بلوغه .

وارتفعت فوق القاهرة فى أفريقيا وفوق دمشق فى آسيا راية واحدة تعلن مولد دولة كبرى تؤكد ارادة الشعب العربى ، وتحمى الوحدة العربية وتدل على التحدى الذى تجابهه الامة العربية ، وتزود النضال العربى بكل الامكانيات التى يحتاج اليها فى معركة تحرره الكبرى .

وكان ارتفاع هذه الراية العربية تاكيدا لانتصار الثورة وفشلا ذريعا للذين يجمعهم العداء لهذه الثورة ، وترتب على ذلك ارتفاع فى مستوى النضال العربى ومعركة التحرر والوحدة التى تخوضها الامة العربية .

ولقد هللت الامة العربية كلها لهذا الامل الذى تحقق ، والتفت الجماهير العربية كلها حول هذه الجمهورية التى ولدت لتحطم التجزئة والحدود المصطنعة وتحرر الوطن من الاستعمار والعملاء وتحرر المواطن من العبودية والاذلال .

وتحرك الاستعمار والعملاء من جديد ، وكان من الطبيعى ان ترتعد فرائص الاستعمار من هذا العملاق الذى يضع حدا للقاعدة الصهيونية بين قدميه الثابتتين فى القاهرة جنوبا ودمشق شمالا ، فتحرك للعمل ، يدفعه الى ذلك وجود الهدف وقاعدته التى تفقد قيمتها وتعجز عن تحقيق اغراض وجودها ، وانطلق من نقطة اليأس من وراء خطوط الفشل يبنى القلاع والسدود لوقف التيار الجارف ، وتخلى فى انطلاقة اليأس عن سياسته التقليدية «فرق تسد» التى تميز بها والتى كان من جرائها هذه التجزئة لامتنا ووطننا .

اراد ان يحارب الوحدة المنبثقة من ارادة الثورة والشعب ، باتحاد منبثق من ارادته .

واوجد الاتحاد الهاشمى يوم ١٤ مارس آذار ١٩٥٨ اى بعد اعلان مولد الجمهورية العربية المتحدة بثلاثة اسابيع فقط ليكون سدا يمتد من بغداد الى عمان فى وجه التيار القومى الهادر ، ولكن السد الجديد تهاوى وقلاعه تحطمت والعملاء الذين يحمونه علقوا على أعمدة الكهرباء فى شوارع بغداد .

حدث ذلك بعد اربعةشهور كاملة يوم ١٤ يوليو سنة١٩٥٨عندما تفجرت ارادة الشعب فى بغداد تعلن قيام الثورة التى تحولت بعد أسابيع قليلة الى مجرد انقلاب بفعل الانحرافات الخطيرة التى تمادى فيها أولئك الذين بهرهم كرسى الحكم فأضلهم عن طريق الثورة التى بدأوا السير فيها خطوات قليلة مالبثوا بعدها أن تراجعوا وانقلبوا من جديد على الثورة التى انتظرها الشعب العربى وقتا طويلا .

ليس المجال الان ، مناقشة الانحراف الذى جعل من الثورة انقلابا ، أو جعل الانتفاضة التاريخية فى العراق يوم ١٤ يوليو تبدأ ثورة ثم تتحول بفعل الانتهازية والوصولية الى انقلاب .

وليس المجال كذلك ، مناقشة الدور الخيانى الذى قام به الشيوعيون فى العراق ولا الدوافع التى جعلتهم يرضون أن يكونوا الاعيب وأدوات ساذجة يسخرها الاستعمار وعملاؤه لخدمة الاغراض الاستعمارية .

أيضا ، ليس المجال الان للحديث عن حمامات الدم ولا عن ابتكارات السحل والشنق على أعمدة الكهرباء فى الشوارع والميادين

كذلك ليس المجال الان للحديث عن ثورة الشواف فى مارس ١٩٥٩ ولاعن المحاولات الثورية التى تكرر حدوثها .

ان الحديث عن ذلك رغم أهميته يبتعد بنا عن نقطة البداية وهى الاكثر أهمية .. ونقطة البداية هى اشتعال الثورة العراقية وصمودها فى وجه تحركات الاستعمار العسكرية .

لقد كانت هذه الثورة مفاجأة كبرى للدوائر الاستعمارية التى كانت تبذل كل جهد مستطاع وكل طاقة ممكنة لان تجعل من بغداد العربية قلعة تنطلق منها الهجمات المعادية للقاهرة العربية ، كان الاستعمار مشغولا بعد قيام الوحدة بين مصر وسوريا ببناء السدود التى يمكن أن يضعف بها تيار القومية العربية الجارف ، وكان أول هذه السدود هو الاتحاد الهاشمى ويمتد من حدود اسرائيل غربا حتى حدود ايران شرقا أى انه يخترق العالم العربى الاسيوى من الغرب الى الشرق . وقد تركزت فى بغداد وعمان كل آمال وامكانيات الاستعمار الغربى والصهيونية العالمية ، فصمود هذا السد الاستعمارى الجديد فى وجه التيار الثورى الجارف هو

حماية للوجود الصهيوني المتمثل في الارض المغتصبة في فلسطين العربية ، وحماية للمصالح الاستعمارية والوجود الاستعماري في العالم العربي كله .

ان صمود بغداد وعمان ضد ارادة الثورة العربية يعني بقاء التجزئة وتجميد الوحدة التي زادت من الاخطار المهددة للاستعمار والصهيونية .

لان سقوط أي من البلدين ، او تحرر اي بلد تحررا ثوريا يعني بالتالي تحقق الوحدة التي تعني اقتلاع جذور الاستعمار وتصفية عملائه واحباط كل خططه التي يعدها ضد الوجود العربي ، وتحطيم القاعدة الصهيونية التي أوجدها اداة تحارب التحرر والوحدة وتستنزف الموارد والامكانيات العربية .

وكان العراق بشكل خاص لكونه مركزا لحلف بغداد الاستعماري والبلد العربي الوحيد المنضم لهذا الحلف ، ثم لكونه مركزا كبيرا لاحتكارات الاستعمار غنيا بموارده وثرواته البترولية والمعدنية ، ومتصلا اتصالا مباشرا بحدود مشتركة أو بواسطة خليج العرب مع جميع امارات ومحميات الخليج العربي من الكويت شمالا حتى عدن جنوبا وجميعها مناطق غنية بالبترول الذي تمتلكه الاحتكارات الاستعمارية .. ثم لكون طبقة العملاء فيه بحكم عوامل كثيرة ، قوية ومتماسكة ، وأثبتت بالتجربة قدرتها في السيطرة التامة بالبطش والارهاب على البلاد ، كذلك لكون العراق مجاورا لكل من ايران وتركيا ويشكل معهما في نظر الاستعمار وحدة استيراتيجية متكاملة ، يعتبر القاعدة الكبرى التي يحتمي فيها الاستعمار ويتخذها منطلقا له ضد الارادة العربية والثورة العربية التي غدا تيارها ، بعد الوحدة بشكل خاص ، يلفح بشدة الاردن والعراق فيحرك المشاعر القومية ويفتح العيون العربية على الواقع المرير الذي تعيشه أمة العرب وعلى الاخطار التي تهددها بوجود الاستعمار جاثما متمكنا عن طريق الحكام العملاء والطبقات العميلة والانتهازية ، وبوجود القاعدة الصهيونية .

ومن اجل ابقاء العراق قاعدة للاستعمار ينطلق منها لضرب الحركة الثورية العربية الحديثة ويصد بها التيار الثوري الجارف وضع الغرب كل امكانياته ودعم الى ابعد الحدود وبكل طاقاته حكم

نوری السعید وعبد الاله والعملاء ، وساهم مســـــاهمة فعالة فی عملیات القتل لارادة الشعب العربی هناك ..

وفی یوم ١٣ یولیو کان الوضع العام فی البلد العربی ، الذی لایکاد یتحرر من عمیل یتحکم بمقدراته ومصیره حتی یبتلی بعمیــــل جدید ، یبدو هادئا وطبیعیا بدلیل ان العملاء الحکام وقتذاك كانوا علی استعداد تام السفر الی انقره لحضور اجتماع قمة لرؤســاء الدول المنضمة لحلف بغداد ، حلف المعاهدة المرکزیة الیوم .. لم یکن أحد یتوقع انفجار الثورة . وفجاة وقع الانفجار فی البـــلد الذی کان یهیؤه الاستعمار لان یکون قاعدة انطلاق له یضرب بها المد الثوری العربی ، فی العراق الذی کان الاستعمار بفعل البطش والارهاب ووسائل الحکام العملاء فی التنکیل بالشعب والجیش یعتقد جازما بانه أمله الوحید فی ابقاء الوحدة العربیة الشـــاملة مجرد شعار ترفعه الجماهیر العربیة ، لیؤکد ثورة الارادة العربیة علی التحدی الذی تواجهه .

ولم تکن بغداد وحدها التی هزها هذا الانفجار ، الامة العربیة کلها اهتزت له .. وامتد صداه الی کافة انحاء العالم ، بل ان العالم کله تأثر بهذا الانفجار الذی عبر عن الارادة العربیة بالمفهوم الثوری الحدیث الذی یؤمن به العرب .

کان الانفجار ولاشك ولید الثورة العربیة ، وامتدادا لهـــذه الثورة . فهو من جهة تتمة للثورة الکبری التی انطلقت من القاهرة عام ١٩٥٢ توقظ الامة العربیة وتبعث فیها الحیاة والقوة ، فالامة العربیة الواحدة رغم تجزئتها تتاثر کل التاثر ، المباشر واللامباشر بالانتصارات التی یحققها الجزء الواحد او النکسات التی تصیب الجزء الواحد منها ، وذلك بفعل المصیر المشترك الذی یفـــرض حتمیته علی هذه الامة .. ومن جهة أخری نابع من الثورة الکبری متصل ومتاثر بها .. لولا ثورة ٢٣ یولیو فی القاهرة لما کانت ثورة ١٤ یولیو فی بغداد ، لما جازف الثوار العرب بعد سلسلة الفشـــل التی أصیبت بها الحرکات الثوریة فی العراق والتی کانت ثورة رشید عالی الکیلانی عام ١٩٤١ قمتها والتی أعقبتها عام ١٩٤٦ الانتفاضة الشعبیة ضد معاهدة بورتسموث ، فی بلد یعتبر قاعدة کبری من قواعـــد

الاستعمار فى الشرق ، ومحاطا بدولتين شريكتين معه بحلف بغداد ، ومرتبطا مع بريطانيا صاحبة المصالح والخبرة بارتباطات مصيرية كثيرة ، لولا التجربة الثورية الناجحة التى ابتدات عام ١٩٥٢ ، ثم لولا الحماية اللازمة الثورة تتفجر فى قلعة من قلاع الاستعمار تتأثر بها ولاشك استراتيجية الاستعمار وخططه ، ومحاطه بالاعداء ، أعداء الثورة والتحرر ، من جهات كثيرة ، لما قامت هذه الثورة او على الاقل لما كتب لها البقاء .

لقد أثبتت الاحداث بالتجربة بان ثورة ٢٣ يوليو التى كانت الوحدة من ثمارها اليانعة هى التى حمت ثورة ١٤ يوليو ١٩٥٨ التى فجرتها الارادة العربية فى بغداد .

كان الرئيس جمال عبد الناصر الذى تتجسد فيه آمال الامة العربية كلها وتلتف حوله الجماهير العربية كلها ، وقت تفجر الثورة يقوم بزيارة ليوغسلافيا الصديقة ، وفورا ، فور سماعه انباءها مارس مسئوليته القومية التى يتحملها بكل معانى الاخلاص والامانة ، أخذ على عاتقه وعاتق الجمهورية العربية الفتية مسئولية حماية هذه الثورة ، قطع زيارته واتجه الى موسكو ، وكان قبل سفره للاجتماع مع خروشوف قد أصدر أمرا بوضع كل الامكانيات العربية تحت تصرف الثورة العراقية .. وعاد من موسكو الى دمشق ليتولى بنفسه وعن كثب قيادة الامة العربية فى معركتها الجديدة التى تخوضها مع الاستعمار والصهيونية العالمية .

لم يكن الرئيس العربى هو الوحيد الذى كان يتحرك بسرعة مذهلة فى تلك الاثناء ، كان الاستعمار الذى اذهلته المفاجاة يتحرك هو الآخر بسرعة مذهلة أيضا مع فارق بعيد كل البعد ، متناقض كل التناقض فى أسباب ودوافع حركة عبد الناصر وحركة الاستعمار ، دافع حركة عبد الناصر كان لحماية الثورة ، ودافع حركة الاستعمار كان لضرب الثورة فى المهد قبل أن تتمكن من اقتلاع جذوره باقتلاع جذور عملائه وتزرع فى الارض العربية جذورا جديدة متحررة .

تحركت القوات العسكرية واساطيل الحرب التى يملكها الغرب واشتركت امريكا فى هذه التحركات لانها اعتبرت ثورة العراق ليست تهديدا للمصالح الاستعمارية ونفوذ الغرب فى الشرق العربى وفى العراق بشكل خاص فحسب ، انما اعتبرتها نسفا لاستراتيجية

امريكا

الغرب التى تبنى عليها خطط مقاومتها للشيوعية الدولية، وامريكا حساسة كل الحساسية بكل ما يتعلق بقواعد استراتيجيتها وأحلافها التى تشكل بها حزاما حول الاتحاد السوفيتى الى درجة انها تجازف بالحرب فى سبيل الاحتفاظ بهذه القواعد .

عدا هذا العامل الهام ، كان هناك عامل كبير الاهمية ايضا هو أن أمريكا اعتبرت الثورة العراقية خطرا كبيرا يهدد وجود الكيان الصهيونى ، وتحرص أمريكا كل الحرص على حماية هذا الوجود ، وهى فى سبيل ذلك تحارب الوحدة العربية او أية خطوة يمكن أن يكسب العرب من جرائها قوة ، كما أنها فى سبيل هذه الحماية حاربت ثورة ٢٣ يوليو بكل أسلحتها وامكانياتها المادية وحاولت بشتى الوسائل قتل مشروع السد العالى لانه يزيد من قوة العرب فيزداد بذلك الخطر على اسرائيل ربيبة امريكا .

اعتقدت امريكا جازمة بان المد الثورى الذى اطلقه عبد الناصر عام ١٩٥٢ والذى كانت الوحدة وقتذاك عام ١٩٥٨ قمة مابلغ ، بدأ انطلاقة جديدة من شانها ان هى استمرت دون ضرب فورى أن تهدم كل قلاع الاستعمار فى العالم العربى وأن تجعل من اسرائيل عبرة لكل أعداء العرب .. وخشيت أن يسقط الطرف الثانى من الاتحاد الهاشمى بسرعة مذهلة كما سقطت بغداد ، ولذلك فانها تضامنت فى العمل مع بريطانيا .

وتحركت الدولتان فى وقت واحد ، لضرب ثورة العراق ، والثورة مازالت محصورة فى بغداد ، والسيطرة لم تتم لها على كل العراق ، والاعداء يحيطون بها من كل جانب اللهم غير جانب واحد يتصل بالاقليم السورى من الجمهورية العربية المتحدة .

فى الوقت ذاته ، وكجزء من خطة الضرب الفورى ، اصدرت الدولتان الاوامر للعملاء فى الاردن ولبنان .. فانطلقت من عمان صيحة استغاثة تطالب بقوات بريطانية تحمى العرش ، وانطلقت من كميل شمعون فى بيروت صيحة استغاثة أخرى تطالب بقوات أمريكية تحميه .. لم يكن القصد بالطبع حماية العرش الاردنى ولا حكم شمعون فحسب ، كان ذلك ولاريب جزء من الخطة ، ولكنه الى جانب ذلك كان يقصد انزال القوات الامريكية والبريطانية للزحف على العراق لضرب الثورة هناك ، ونزلت القوات الامريكية

فى لبنان ففدت بذلك على الحدود الغربية للاقليم السورى الذى يمثل الحماية الوحيدة الاكيدة لثورة العراق المتفجرة ، وكان على امتداد هذه الحدود فى الشمال الغربى الاسطول الامريكى السادس .. كذلك نزلت القوات البريطانية فى الاردن ، ففدت بذلك من جهة الجنوب على حدود الاقليم السورى .. وتحركت قوات حلف بغداد ، قوات ايران وتركيا ، لانقاذ القلعة التى تهاوت والعملاء الذين سقطوا .

ورد عبد الناصر على جميع هذه التحركات بامر دعا فيه الى التعبئة العامة ، ثم هبط فجاة فى دمشق ليتولى القيادة فى معركة المصير التى تخوضها الامة العربية .. لقد اعتبر ثورة العراق ثورة الامة العربية من اجل التحرر والوحدة ، واعتبر تحركات أمريكا وبريطانيا تحديا للامة العربية وارادتها ، لذلك قرر أن تكون معركة حماية الثورة معركة مصير .. وبمستوى هذه المعركة تحمل عبد الناصر المسئولية والقيادة ... واعلن وهو يعبىء كل امكانيات الجمهورية العربية المتحدة لحماية الثورة بان كل اعتـــداء على العراق انما هو اعتداء صريح على الجمهورية العربية المتحدة تصده هذه الجمهورية بقواتها وامكانياتها العسكرية والشعبية والمادية والمعنوية ، وأكد عبد الناصر بانه جاد كل الجدية فى مايقول كمـا أكد بانه لن يسمح لاسرائيل أن تستفيد من الموقف المتأزم .

وازاء ارادة عبد الناصر التى عرف الغرب ، بالتجربة العمليـة مدى قوتها وصلابتها ، توقفت التحركات العسكرية الغربية عند حدود الاقليم السورى وعلى مقربة من حدود العراق لانها خشيت أن تؤدى محاولتها فى ضرب الثورة الى حرب يمتد لهيبها الى كل جزء من أجزاء الوطن العربى وربما تعداه الى حرب عالمية شاملة

وخيم على العالم وقتئذ شبح الحرب الذرية ، ولم يخش عبد الناصر الاسلحة الذرية التى تملكها أمريكا وبريطانيا ، ولم يخش كذلك احاطة الاعداء به وهو فى دمشق من كل جانب حول الاقليم السورى ، فبقى صامدا فى وجه التحركات العســكرية الضخمة يؤكد اصرار الامة العربية على حماية انتصاراتها لانها بهذه الحماية انما تحمى وجودها . وكانت المعركة بالفعل فى هذا المستوى ، اذ

لو ان القوى الاستعمارية نجحت فى ضرب الثورة وفى استعادة السلطة لكانت بذلك قد نجحت فى تهديد الوحدة ، أضخم انتصارات ثورة ٢٣ يوليو وارادة الشعب العربى ، تهديدا مباشرا قويا ، ولكانت كذلك فى وضع يمكنها من اغتنام الفرصة لتوجيه ضربات اخرى لكل الانتصارات التى تحققت وعجزت عن الحاق الاذى فيها . ثم لتمكنت من جديد فرض سيطرتها واسلوب حكمها الارهابى على العالم العربى كله عن طريق العملاء والانتهازيين .

ولكن مشيئة الاستعمار عندما تصطدم بارادة عبد الناصر ارادة الامة العربية ، ترتد خاسرة متهاوية تجر وراءها اذيال الخيبة والفشل .

هكذا كان الحال فى كل مرة اصطدمت فيها مشيئة الاستعمار بارادة عبد الناصر ، واستمرارا لذلك الحال الذى اعتاده الاستعمار خسرت أمريكا وبريطانيا معركة حماية ثورة العراق فلم تجسروا على التدخل المسلح .. بل انهما اضطرتا بعد قليل أمام اصرار عبد الناصر على سحب قواتهما من الاردن ولبنان وكان بانسحابهما نهاية المعركة بفوز ساحق للارادة العربية .

هنا لابد من الوقوف قليلا لنتبين الموقف والمصير الذى كان يمكن ان تلقاه ثورة العراق والامة العربية كلها لو لم تكن ثورة ٢٣ يوليو والوحدة الخالدة وعبد الناصر القائد والرائد .

أولا — فى حالة افتراض قيام الثورة فى ظروف عربية غير الظروف التى كانت متوفرة وموجودة ، وهى وجود ثورة قومية ووحدة قوية ، فان احتمال نجاحها او احتمال صمودها من الناحية النسبية أقل بكثير من احتمالات الفشل ، الدليل على ذلك سلسلة الثورات والانتفاضات التى وقعت فى العراق فى تاريخه الحديث والتى انتهت كلها الى فشل ذريع ..

ثانيا — توفر الحماية اللازمة لهذه الثورة كان يمكن اعتباره من المستحيلات لان هذه الحماية لايمكن أن تتوفر الا فى الكتلة المناوئة للغرب ، أى فى الاتحاد السوفيتى ، ولا يعقل أن يجازف الاتحاد السوفيتى بتدخل مسلح يؤدى حتما لو أنه يحدث الى حرب عالمية شاملة لحماية ثورة مازال مصيرها واتجاهها فى كفة القدر ناهيك عن عدم وجود حدود مشتركة بينهما .

ثالثا — ان العراق بحكم موقعه الجغرافى يكون فى هذه الحالة المفترضة محاطا بالاعداء الاقرباء دون أن يكون له صديق واحد يقدر على المساندة والحماية فيسهل بذلك القضاء على الثورة .

رابعا — ان قوات حلف بغداد كان يمكنها أن تتدخل مستندة الى نصوص الحلف ، بل كان يمكن لامريكا وبريطانيا أن تتدخلا بسرعة وتضعا العالم كله تحت الامر الواقع .. ثم تنسحبا أمام ضغط الرأى العام العالمى ولكن بعد أن تكونا قد أوجدنا عناصر جديدة من العملاء لها قدرة امتصاص النقمة الشعبية ، أولها قدرة الاستمرار فى حكم البلاد بطريقة نورى السعيد .

خامسا — كان يمكن للجيش الاردنى بحكم مواثيق الاتحاد الهاشمى الذى كان يضم الاردن والعراق أن يلعب دورا كبيرا وفعالا بمساندة الانجليز وقوى الغرب فى ضرب الثورة دون أن يكون هناك حق فى التدخل بحجة أن الذى يحدث فى العراق هو صراع داخلى لا يتعدى حدود الاتحاد الهاشمى .

من خلال هذه النقاط الخمس يمكن أن نصل الى القيمة الكبرى والدور التاريخى الذى اضطلعت به الجمهورية العربية المتحدة وتحمل مسئوليته الرئيس عبد الناصر ... او أن هذه الجمهورية لم تكن موجودة أو لو أن الوحدة كانت مجرد شعار ، ثم لو أن عبد الناصر ليس القائد لهذه الامة ، لكان المصير الذى ينتظر ثورة ١٤ تموز العراقية حالك الظلام ، لان الاستعمار كما برهن بالعمل وسرعة التحرك كان شديد الحرص على الاحتفاظ بالعراق قاعدة له وقلعة من قلاع استراتيجيته ...

ان الاحداث التاريخية تؤكد بان ثورة ١٤ يوليو رغم ما أصابها من نكسات كانت وليدة ثورة ٢٣ يوليو تتصل بها وتشكل امتدادا تاريخيا وقوميا لها ، وهى لذلك جزء من ثورة الوجود العربى التى اكتشف بها العرب أنفسهم واستعادوا بها قوتهم واهتدوا بها من من جديد الى رسالتهم الانسانية يساهمون بها فى تدعيم السلام فى العالم .

فى المجـــال الدولى

المجتمع العربى ليس فى مصر وحدها ، انما فى العالم العربى كله كان واقعه قبل ثورة ٢٣ يوليو يهدد الوجود العربى الى حد خطير خاصة بعد أن أصبح الوجود الصهيونى مقيما فى الوطن العربى . وكان سر التهديد يكمن فى أن الوجود العدوانى الذى يتخذ من الاراضى المغتصبة فى فلسطين رأس جسر له لم يكن يلقى من الوجود العربى المقاومة الكافية لصد تياره الهادف الى التوسع والسيطرة واحتلال المزيد من الاراضى العربية ، ذلك لان المجتمع العربى لم يكن لا من حيث الوعى القومى ولا من حيث التحرر ولا من حيث مستوى النضال ، قد بلغ الحد الذى يمكنه تحمل مسئولية فى مستوى معركة الوجود الصهيونى والاستعمار الغربى ... بل ان واقع المجتمع العربى كما سنرى بعد قليل كان عاملا فى نجاح الاستعمار والصهيونية العالمية باغتصاب فلسطين واقامة قاعدة عدوانية فيها أهم من جميع عوامل التآمر التى توفرت للاستعمار والصهيونية على السواء .

لو أن المجتمع العربى قبل ثورة ٢٣ يوليو كان مجتمعا متماسكا واعيا متفهما لمسئوليته ، واعيا لمـا يدبر له ، قادرا على الاستفادة من الاسلحة التى يمسك بها كالبترول مثلا ، لما نجح الاستعمار فى تآمره ، ولمـا نجحت الصهيونية العالمية فى اقامة قاعدة لها فى الوطن العربى ... بل ولمـا كانت هناك ضرورة لثورة ٢٣ يوليو

لندلل على ذلك بحوادث تاريخية ملموسة عشناها ونستمتع اليوم بحلاوة ذكراها :

بعد أن قامت الثورة ونجحت فى اقتلاع جذور الفساد وتطهير المجتمع العربى والقضاء على عوامل فساده وافســاده كالحزبية والاقطاع والانتهازية والمصلحية والطبقات العميلة ، تمكن هــذا المجتمع الجديد من تحقيق انتصارات ضــخمة ملأ دويها أرجاء العالم ، ثم تمكن من حماية نفسه من سلسلة المؤامرات الطويلة

التى ما زال يدبرها أعداء أمتنا .. أن كل واحدة من هذه المؤامرات التى تحبط وتفشل فى أداء مهمتها لو أنها كانت تدبر قبل الثورة لكانت تحقق كل أغراضها ، بل يمكن القول بان واقع ما قبل الثورة لم يكن يدعو الاستعمار الى التآمر من أجل الوصول الى اغراضه .

كانت الحكومات العربية كلها ، اللهم غير سوريا التى كانت تمارس استقلالها الفتى وتتفرغ لمشـــاكلها الداخلية الكثيرة من تطاحن حزبى الى تسلط الاقطاع والرأسماليين على الحكم ، لايعدو كونها مجرد أدوات يستخدمها الاستعمار فى تاكيد وجوده والوصول الى اهدافه ... حكومات مصر قبل الثورة كانت كلها من ذلك النوع بدليل أنها كلها عجزت عن ممارسة الاستقلال وتحقيق الجلاء وتحرير المواطن من قيود وسلاسل الاقطاع والعبـــودية ... والحكومات العربية الاخرى فى شتى الاجزاء العربية كانت فى مستوى حكومات مصر قبل الثورة من حيث العمالة والفساد ان لم تكن أسوأ منها ...

ولقد كانت تلك الحكومات فى كثير من الاقطار العربية ومصر احداها ، تصل الى الحكم عن طريق الاحزاب ، ولم تكن الاحزاب فى مجتمع مفكك متفسخ ، هدته رواسب الماضى السحيق ، غير انعكاس لواقعه وقتذاك ... فكانت أحزابا فاسدة مفسدة تتكون من عناصر فاسدة مفسدة . لذلك فانها كانت القمة فى الفساد والافساد ، تضم شخصيات وفئات مصلحية وانتهـــازية تهمها مصلحتها بل تضع مصلحتها فوق مصلحة الوطن والشعب ، الامر الذى جعلها احزابا مصلحية انتهازية تتصارع من أجل كرسى الحكم ، تتخذ من ذلك الكرسى وسيلة لتحقيق أغراضها والوصول الى غاياتها .

ان نظرة فاحصة الى التكوينات التى كانت تقوم عليها الاحزاب وتاريخ تلك الاحزاب تؤكد لنا ولا شك بان الاحزاب فشلت فشلا ذريعا فى قيادة الجماهير الشعبية وفى الارتفاع بمستوى النضال ثم فى بلوغ هدف من الاهداف الكبرى ... لم يتمكن حزب واحد أن يكسب ثقة الجماهير لانه ما من حزب واحد وصل الى الحكم الا وتنكر للشعارات التى رفعها ونادى بها ، ومرد ذلك يرجع الى مستوى الاحزاب ، اذ أن كل حزب كان يتكون بدوافع مصلحية

او بدوافع المنافسة الشخصية من الفئات القادرة على المنافسة الساعية وراء مصالحها ، وكانت تلك الفئات تمثل رجال الاقطاع والرأسماليين وكبار التجار وذوى المصالح الكبيرة ، ويستحيل على مثل تلك الفئات أن تعمل من أجل تحرير المواطن أو تحرير الوطن ، بل كان يستحيل عليها أن تعمل من أجل المصلحة القومية أو الوطنية، لانها كانت تهتم بمصالحها وحماية هذه المصالح التى تتناقض مع مصلحة الشعب .. لا يعقل مثلا من رجل اقطاعى أو باشا أو رأسمالى صاحب مصلحة كبيرة أن يكون صادقا فى محاربة الاستعمار والفساد ، لان التحرر من الاستعمار والقضاء على الفساد يعنى بالبديهة خسارة كبرى لكل اقطاعى وكل ذى مصلحة ، واتاحة الفرصة أمام الارادة الشعبية لان تنطلق ، وأكثر ما كانت نخشاه، أو تحول دونه تلك الاحزاب بعناصر تكوينها الانتهازية والمصلحية هو ان تنطلق الارادة الشعبية من عقالها . لذلك كانت تعمل على خداع الجماهير الشعبية برفع الشعارات الخادعة أو ارتداء الاقنعة الكاذبة أو فى التظاهر بالوطنية المتطرفة التى تجتذب الجماهير المحرومة المكبوتة ارادتها ، وأكثر ما كانت تظهر الاقنعة الخادعة والشعارات الكاذبة فى الفترات الانتخابية بغية الحصول على الاصوات التى تكفل لها الوصول الى كرسى الحكم ...

هنا تبرز نقطة هامة تكشف عن مدى التفسخ الاجتماعى وتسلط العناصر الاقطاعية والمصلحية على ارادة الجماهير والاستهتار بقدسية المواطن وحقوقه الانسانية .. لم يكن الفلاح ، وهو فى المجتمع العربى يشكل الغالبية العظمى ، بسبب سيطرة الاقطاع عليه من جهة وعامل الخوف من حرمان أشد من الحرمان الذى يعيشه من جهة أخرى ، ورواسب الماضى والجهل من جهة ثالثة، فى وضع يمكنه من ممارسة حقوقه السياسية أو أى حق طبيعى له ، لذلك كان الفلاحون فى الاقطاعية الواحدة بدون ارادة ، يتحركون وفق أهواء السيد الاقطاعى أى ضد مصلحتهم وحقوقهم .. كذلك لم يكن العامل الواقع تحت تسلط صاحب العمل المهدد بالحرمان والطرد احسن حالا من الفلاح الذى يعيش بدون حماية الدولة بل وبدون رعاية لشئونه ، فكان صوته الانتخابى فى يد صاحب العمل .. كذلك كان الحال فى كافة القطاعات والمرافق العامة ...

الى جانب ذلك كله ، كانت القوانين الرجعيـة في يد الحكومات تستغلها ضد ارادة الشعب لتاكيد مصالحها وحماية مكاسـبها الانتهازية ، وتستوى فى ذلك جميـع الحـكومات الحـزبية وغير الحزبية ، بل أن الحكومات الحزبية تتحمل مسئولية تاريخيـة فى الاستهتار والتهاون والمخادعة أكثر من غيرها ، لانها الى جـانب تنكرها لوعودها كانت تعمل على خداع الشعب بشعارات ترفعها وتعمل بالتالى على امتصاص النقمة بتلك الشعارات الكاذبة الخادعة

ان تاريخ الاحزاب والحكومات الحزبية فى عالمنا العـربى هـو تاريخ مشين ولا شك ، يؤكد فشل الحزبية فشلا ذريعا وتاريخيا ويؤكد بالتالى فشل رجال السياسة لكونهم فى بلادنا من عنـاصر تشدها مصالحها المتناقضة مع مصلحة الشعب الى التقـارب ومهادنة الاستعمار والحكام والعملاء الذين يسـندهم الاستعمار أو يستندون اليه ويحتمون بحرابه ويحكمون بنفوذه .

غير هذا ، كان المجتمع العربى ، بحكم تفرغ الحكومات والاحزاب لحماية مصالحها مهملا كل الاهمال من اية عناية بشئونه .. لم تكن هناك سياسة تعليمية أو مدارس كافية لاستيعاب الطلاب ، بدلا من ذلك ، كانت هناك سياسة تقليدية للحكومات المتخاصمة المتنافسة تقوم على الاخذ بمبدأ التجهيل أى بابقاء الشعب جاهلا لا يعرف من أمره شيئا ، ومبدأ التجهيل هذا سياسة استعمارية عرفتها بلادنا كلها كما عرفتهـا البلاد الاخرى التى ذاقت مرارة الاستعمار ... الغرض منه ابقاء الشـعب غير واع على واقعه المرير وغير متفهم لمسئوليته وواجباته ، وبقيت الحكومات تاخذ بها ارضاء للمستعمر من جهة وحماية لاحتكارها السياسى من جهة أخرى . كانت تلك الحكومات تحتكر العمل السياسى وهى بذلك شأن كل محتكر ضد ظهور منافسين أقوياء لاحتكاراتها .. لذلك كانت ضد التعليم وضد توعية الجماهير ، لان تعميم التعليم يتيح المجال للكفاءات الشعبية أن تبرز وتظهر ، ومن هذه الكفاءات تلمع شخصيات تكتشف خداع الاحزاب واختلاساتها وفسادها وتلمس باليد كما ترى بالعين الفرق البعيد بين رجال السياسة المترفين وبين الشعب الجائع المريض المحروم ، فترتفع الصيحات التى من شأنها أن توقظ الشعب على الفساد وعلى واقعه فيبدأ فى التطلع الى خيراته المسلوبة وحقوقه الضائعة ، ثم ياخذ فى المطالبة بتلك

الخيرات والحقوق ، وتتطور المطالبة بفعل التوعية التى ينميهـا التعليم والثقافة لتاخذ طريق النضال وتحديد الاهداف التى يعنى بلوغها نهاية الاحتكار السياسى ، اى نهاية حكم الفساد والانتهاز والمصلحية والعملاء .

ثم كان المجتمع العربى عبارة عن فئات قليلة تملك كل شيء ، الخيرات والمصير والسياسة والتعليم والترف ، وغالبيـة كبيرة لا تملك دموعا تذرفها أو عرقا تسكبه أو دماء تنزفها .. وكانت الفئات القليلة بحكم مصالحها ومصيرها المشترك مرتبطة بمصالح ومصير الاستعمار ، فكان يعنى حكم هذه الفئات وجودالاستعمار ونفوذه ومصالحه واحتكاراته ، وكانت الغالبية الكبيرة بحكم واقعها وحرمانها فى تناقض حتمى مع الفئات التى تستغلهاوتستبد بها وتستعبدها وتمتص دماءها ، وكان معنى التناقض أن يكون هناك تصارع بين الاطراف المتناقضة ، بين الفئة القليلة التىتحكم وتستثمر وتستبد ، وبين الغالبية الكثيرة التى تعمل ثم لا تجد عيشا يشبع معدتها أو يسكت صراخ أطفالها ، وقد كان التصارع موجوداً رغم قوة الفئة الحاكمة التى كانت تتخذ من الحكم وسيلة لارهاب الفلاح والعامل بدل أن تتخذه وسيلة لحماية المواطن من الظلم والقسوة .

أيضا ، كان المجتمع العربى بفعل تهـاون الحكام وارتبـاطهم المصيرى بالاستعمار ، وبفعل مساومات الاحزاب فى سبيل الوصول الى الحكم الذى كان أمره بيد الاستعمار ، قـد تحول الى مزرعة كبيرة يملكها الاجنبى .. ونتج عن ذلك أن أصبحت خيرات البلاد ومرافقها العامة ومصادر الثروة بيد احتكارات أجنبية . وتمكنت تلك الاحتكارات من أن تجعل مصير البلاد الاقتصادى بيدهافتحدد الانتاج وكان كله انتاجا زراعيا ، وتتحكم فى الاسـواق وتسـيطر على التجارة الخارجية والداخلية .. وعن طريق هـذا التسـلط الذى استمر يتزايد بسبب اشتداد المنافسة بين الاحزاب وتهالكها للوصول الى كرسى الحكم .. ثم بسبب خيـانات الحـكام الذين كانوا يمعنون فى تمكين النفوذ الاجنبى لاعتقادهم أن فى ذلك تمكينا لهم ، غدت مقدرات البلاد بيد الاجنبى ، وغدت الاحزاب أدوات يستغلها الاجنبى لتحقيق أغراضه الكثيرة ..

وكانت من أهم اغراض الاستعمار فى وطننا ان يبقى هـذا

الوطن الكبير سوقا لانتاجه .. من أجل ذلك لم تقم فى وطننا كله صناعة واحدة رغم وجود أعلى نسبة من بترول العالم وكميات كبيرة من المعادن والمواد الاولية اللازمة للصناعة فيه .
ولم تحاول الاحزاب التى تعاقبت الحكم محاربة هذه السياسة الاستعمارية الهادفة الى ابقائنا فى حاجة مستمرة وأبدية لصناعاته وخبراته الفنية ، فبقيت بلادنا تنتج القطن وتبيعه رخيصا وبثمن بخس الى انجلترا لتصنعه قماشا نشتريه باسعار مضاعفة ، كذلك الحال بالنسبة لقصب السكر ولكافة المنتجات الزراعية القابلة للتحويل الصناعى .. حتى البترول الذى تبلغ أرباح العالم العربى منه عدة مئات الملايين من الجنيهات الاسترلينية رغم أن نسبة هذه الارباح مخفضة ، يصدر الى الخارج خاما ثم نشتريه مكررا .. وأبعد من هذا ، كان الاحتكار الاجنبى لضمان سيطرته الاقتصادية قد ربط تصريف المنتوج به وحده ، فتصدير القطن مثلا رغم انه بيد الاحتكارات الاجنبية بقى فى الوقت ذاته يعتمد على سوق واحدة هى بريطانيا وفى ذلك خطورة بالغة تجعل ابريطانيا المستوردة الوحيدة تاثيرا كبيرا ومباشرا على سياسة الدولة الخارجية والداخلية على السواء ، اذ أنها تكون فى وضع يجعلها تهدد الاقتصاد القومى بالامتناع عن الاستيراد والتلاعب فى الاسعار فى حالة اتباع سياسة تتعارض مع الابعاد المحددة لسياستها .

ولم تظهر فى عالمنا العربى قبل عام ١٩٥٢ حكومة واحدة رغم الشعارات الكثيرة التى كانت ترفعها الاحزاب فى المعارك الانتخابية حاولت أن تبذل جهدا متواضعا لتحرير الاقتصاد العربى والاستفادة من الخيرات الكثيرة باقامة صناعات محلية تغنى المواطن العربى عن الصناعة الاجنبية التى بانتعاشها تحل مشكلة البطالة فى الدول الاجنبية ويزداد استحكامها فى عالمنا ..

وعن طريق التحكم فى الاقتصاد .. ومن خلال الفساد والاحزاب الفاسدة والحكام الخونة ، كان النفوذ الاجنبى يزداد قوة ، وكان المجتمع العربى يزداد تفسخا وتفككا وضعفا وعدم مقدرة على صد سيل الهجمات التى يتعرض لها .

فى مثل ذلك الواقع كان لابد لذوى المصالح والاقطاعيين والراسماليين أن يكونوا فى سبيل المحافظة على مصالحهم ادوات يستخدمها الاستعمار لتنفيذ مآربه الكثيرة المتنوعة .. كان ذوو

المصالح يتحركون وفق خطط الاستعمار ، بعضهم يرفع الشعارات الخادعة ويتخذ موقف المعارضة ، وبعضهم الآخر يتسلل الى صفوف الشعب فى مهمة تضليلية ، وبعضهم يعمل ضد ارادة الشعب بدون قناع ، وبعضهم الاخر يعمل بقناع كاذب خداع .. وكان لكل فريق منهم دور يمثله ومهمة يؤديها ، فريق المعارضة يتولى الحكم بعد وصول النقمة على الحكومة القائمة حدا يهدد بالانفجار ، فتكون مهمته فى هذه الحالة امتصاص تلك النقمة وتهدئة الشعور الوطنى دون أن تتأثر السياسة العامة التى يريدها المستعمر فى شىء أو يصيبها اى ضرر ، وفريق التضليل مهمته صرف الشعب عن أهدافه باشغاله فى قضايا وهمية مصطنعة .. كذلك الحال بالنسبة لكل فريق من العملاء .. ولم يظهر فى المجتمع العربى الذى يسوده الفساد وتتحكم فيه المحسوبية وتحكمه العناصر العميلة والاحزاب الفاسدة حركات قوية قادرة بنموها الجماهيرى وفلسفتها العقائدية وشخصياتها النظيفة وطنية ومسلكا على توعية الجماهير وتمزيق الاردية الخادعة التى ترتديها عناصر كثيرة واحزاب متعددة كثيرة، خاصة قبل عام ١٩٥٢ لاشتداد قبضة الرجعية العربية والاستعمار والطبقات العميلة وانعدام القوة الثورية السائدة .

فى ذلك المجتمع ، لم تعرف بلادنا غير الضوضائية مظهرا من مظاهر النضال . لم يكن قد ظهر غير حزب واحد وصل مستوى تحمل مسئولية وطنية أو قومية او فى مستوى تحمل مسئولية النضال الذى يعتمد على الجماهير الشعبية ويؤمن بفاعلية وقدرة هذه الجماهير على تحقيق انتصارات وطنية ويتخذ منها قوة كبرى يعبئها بالوعى والارادة ضد الاستعمار والحكم الفاسد .

فى ذلك المجتمع أيضا ، لم تعرف بلادنا استراتيجية العمل النضالى ، كان النضال الشعبى عفويا لا يستند الى أى مخطط أو أية خطة .. يعتمد على العواطف الجياشة والفورات الوطنية التى تعتمل فى النفوس

كذلك لم تعرف بلادنا فى ذلك المجتمع وحدة النضال رغم وجود المشاعر القومية . مثلا كان نضال شعب فلسطين غير مرتبط بنضال الشعب العربى فى الاردن .. وقد أثر ذلك ولا شك على معركة التحرر التى تخوضها الامة العربية مجزأة فى أوطانها .

الامر من كل ذلك ان عالمنا العربي بقي يعيش تلك الفترة الهامة بدون زعامة شعبية نظيفة مخلصة أمينة .. لم يظهر في أي قطر عربي زعيم شعبي لهقدرة تعبئة الجماهير واستغلالها في النضال العربي أو دفعها دفعا ثوريا نحو التحرر الحقيقي .. ظهرتزعامات مختلفة في أكثر من بلد عربي ولكن لم يتوفر لاي منهـا التجـرد والوطنيـة الصـادقة ,والجرأة الثورية والصلابة وامكانية تجسيد آمال الامة .. ان جميع الزعامات التي ظهرت كانت تعتمـد على إثارة الجماهير بالكلام والخطب الرنانة دون أن تقدر زعامة واحدة منها على تحقيق مطلب واحد من المطالب الشعبية أو بلوغ هدف واحد من الاهداف .. القومية أو الوطنية .

لم يتمكن زعيم واحد في العالم العربي كله أن يعبيء الشـعب العربي تعبئة صادقة ضد الوجود الصهيوني الذي يشـكل اليوم الخطر الحقيقي الذي يجابهه الوجود العربي ، والتحدي الحقيقي الذي تجابهه الامة العربية .

ولم يتمكن زعيم واحد أن يحقق الجلاء لاي قطر من الاقطـار العربية الكثيرة ، أو ينهي التبعية أو يلغي المعاهدة غير المتكافئة التي كانت ترتبط بها البلدان العربية مع بريطانيا أو فرنسـا أو غيرها من الدول الاستعمارية .

ولم يتمكن زعيم واحد ان يرتفع بالنضال العربي الى مسـتواه القومي ، فبقي نضالا اقليميا رغم وجود المشـاعر القومية تعمـر القلوب العربية .

ولم يتمكن زعيم واحد أن يحرر الفلاح من عبودية الاقطـاع ، وأن يوفر للشـعب حق التعليم أو حق العلاج المجاني أو حق الحياة .. وأن ينقذ الاقتصاد من المخالب الإستعمارية الاجنبيـة ويعيد الاحتكارات الى ذويها .

ولم يتمكن زعيم واحد أن يحمل معول الهدم يهد به الفسـاد والمجتمع الفاسد ليبني مجتمعا تسوده العدالة وتظلله الطمأنينة .

ولم يتمكن زعيم واحد أن يجعل شعارا واحدا ارتفع عمـلا حقيقيا يلمسه الشعب رغم أن الشعارات التي ارتفعت كثيرة

ولم يتمكن زعيم واحد أن يفجر الارادة العربيـة لتدك قـلاع الاستعمار وتصد الاخطار التي يتعرض لها الوطن العـربي بفضـل

تآمر الاستعمار والصهيونية العالمية والشيوعية الدولية ضده .

ولم يتمكن زعيم واحد أن يهدم معقلا واحدا من معاقل الاستعمار ، أو يسقط حاكما عميلا من عملاء الاستعمار وركائزه ، أو يكشف القناع عن فئة واحدة من عناصر الخيانة المتآمرة ضد سلامة المجتمع والوطن ..

ولم يتمكن زعيم واحد ان يرد للشعب الجائع المحروم حقا واحدا من حقوقه الكثيرة المسلوبة .
وكذلك لم تتمكن الاحزاب أن تقوم بدور الزعيم ..

اذن ، لا يجوز لنا والحالة هذه أن ندعى بظهور زعيم فى عالمنا العربى قبل ثورة ٢٣ يوليو ، لو نفعل ذلك ، لو نجيز لانفسنا الادعاء ، نكون قد تجنينا على التاريخ ودجلنا على أجيالنا العربية الصاعدة وكذبنا على أنفسنا .

ذلك كان حال المجتمع العربى قبل ثورة ٢٣ يوليو ، فئة قليلة تحتكر خيرات البلاد وسياستها ومصيرها وترتبط مصيرا ووجودا بالاستعمار .. وغالبية كبيرة جاهلة بدون قيادة وبدون زعامة .. وأحزاب تتصارع من أجل كرسى الحكم وهى فى سبيل ذلك تستسلم للاستعمار صاحب النفوذ ، وحكومات غير أمينة على مقدرات البلاد تتولى القيادة والمسئولية ، وفساد يسود المجتمع من القلى القمة حتى القاعدة الدنيا ، وملوك ورؤساء مستهترون يتآمرون على مقدرات البلاد ، وتفكك وانقسامات وتناقضات لا حصر لها تعم وتستشرى .

مثل ذلك المجتمع ولا شك يستحيل عليه أن يرد مؤامرة استعمارية أو يصد خطر الصهيونية العالمية .. بل ان ذلك المجتمع بتفككه وتخلفه وأمراضه الكثيرة كان سببا من اسباب نجاح الصهيونية العالمية فى اقامة جسر لها فى وطننا العربى .

ذلك المجتمع تغير ، هدمته الثورة لانه كان فاسدا ، وبنت على أنقاضه مجتمعا جديدا للانسان فيه قدسية ، وللفرد فيه قدسية ، .. ينعدم فيه استغلال الانسان لجهد أخيه الانسان ، تتسود فيه العدالة الاجتماعية والمساواة ، الثروة فيه ملك للجميع توزع على الشعب توزيعا عادلا ، والتعليم فيه حق للجميع ، والتوعية مسئولية

تتحملها الدولة ، والتناقضات فيه بين الشعب والحاكم زالت ولم يعد لها سبب واحد .

هذا المجتمع الجديد يتحمل مسئولية حماية الوجود العربى ، وتحقيق الشعارات القومية التى ارتفعت فى السماء العربية .

الوحدة التى ارتفع شعارها فى أرجاء الوطن العربى والتى بقيت مجرد شعار تهفو اليه القلوب وتلتف حوله الجماهير ، أصبحت بفعل الثورة حقيقة يعيش بنعيمها الشعب العربى كله .

والحرية التى كانت امنية كل مواطن عربى أصبحت حقا مقدسا لكل مواطن فى الجمهورية العربية المتحدة ثمرة الثورة المباركة .

والاشتراكية التى كانت حلما أصبحت عنوانا للمجتمع العربى الجديد ..

لقد ظهرت حركات كثيرة تنادي بالحرية والوحدة والاشتراكية ، معظم تلك الحركات رفعت الشعار لتؤدى مهمة خادعة ، وحركة واحدة رفعته عن ايمان صادق ، ولكنها لم تقدر على الانتقال بهمن مرحلة « الرفع » الى مرحلة التطبيق ، بل انها لم تقدر على كشف الحركات الاخرى التى رفعته خداعا وتضليلا .

ثم جاءت الثورة وتحملت المسئولية القومية كلها .. جعلت الشعارات التى كانت تلمع فى السماء العربية حقائق تلمسها الامة العربية .

الجلاء تحقق عن مصر .

الاستقلال أصبح يمارس ممارسة فعلية .

الفساد اقتلعت جذوره .

العملاء قضى عليهم قضاء تاما .

الانتهازيون لم يعد لهم متسع .

الاقطاع تهدم ..

والجهل حورب ..

والفقر فى طريق الزوال .

وحدة النضال أصبحت حقيقة يمارسها الشعب العربى ،

والمصير المشترك أصبح مسئولية تتحملها الثورة وايمانا تقدسه الجماهير العربية .

وبمعركة التحرر التى تخوضها الامة العربية حققت انتصارات كبرى .

. وبعد هذا أصبح الشعار القومى الخالد « حرية ــ وحدة ــ اشتراكية » يجد القوة الثورية القادرة لان تضعه موضع التطبيق العملى ...

الوحدة اليوم حقيقة تشع نورا ونارا ،
والحرية اليوم احدى الضروريات المكفولة لكل مواطن .
والاشتراكية اليوم أساس المجتمع العربى الجديد .

بذلك ، بعد هذه الانتصارات القومية أصبح المجتمع العربى ، وليد الثورة ، قادرا على خوض معركة الوجود مع الصهيونية العالمية والاستعمار والشيوعية الدولية ، وقد اصبحت مستلزمات معركة الوجود متوفرة للمجتمع العربى الجديد .

الوعى الذى كان ينقص هذا المجتمع والذى من جراء انعدامه قبل ثورة ٢٣ يوليو كانت الاحزاب قادرة على التضليل والخداع ، والحكومات قادرة على التلاعب بمقدرات البلاد ، والحكام العملاء قادرين على اقتراف الخيانات والجرائم .. أصبح اليوم بفعل المعارك المريرة التى خاضتها الثورة والشعب ، وبفعل الاحداث الكثيرة التى عاشتها الامة العربية ، وبفعل المؤامرات الكثيرة التى أحبطتها القيادة الثورية المسئولة .. ثم بفعل الانتصارات الكثيرة التى تحققت وحميت ، سلاحا يحارب به المواطن العربى الدعايات المسمومة والافكار الخبيثة والمؤامرات الاجرامية والمحاولات التى يراد منها التسلل الى الجماهير الشعبية لخلق أزمة ثقة بينها وبين قيادتها الثورية كتمهيد لابد منه لضرب المكاسب الشعبية القومية .

والتناقض الحتمى فى الارادة والاسلوب بين الشعب والحكام الذى كان عنوانا كبيرا للمجتمع العربى قبل الثورة ، أصبح اليوم منعدما فى الجمهورية العربية المتحدة ثمرة الثورة الكبرى ، تأخذ مكانه ثقة متبادلة بين القيادة الثورية والشعب .

والفوارق الاجتماعية ، التى كانت تتمثل فى طبقة محرومة جائعة تبحث عن حماية ، اى نوع من الحماية ، اصبحت اليوم بفعل الاصلاح الزراعى والقضاء على تسلط رأس المال على الحكم منعدمة تاخذ مكانها عدالة اجتماعية تضمن التوزيع العادل للثروة وتكفل العمل الحر لكل مواطن .

والطبقية ، التى كانت تحتم التصارع الطبقى مع ما ينتج عن هذا التصارع من مآسى ، والتى كانت تتمثل فى احتكار العملاء والمصلحيين ورجال الاقطاع والرأسماليين للاحزاب وللحكم ولثروات البلاد ، أصبحت اليوم منعدمة . بل اصبحت جميع الطبقات تذوب فى اطار الوحدة القومية ، وأصبح الحكم نتيجة لذلك لمصلحة الشعب وبيده .

والفساد الذى كان من أبرز معالم المجتمع العربى قبل الثورة ، ومن جرائه كان الانحلال الخلقى واللامبالاة والاستهتار بالقيم الوطنية ، أصبح اليوم منعدما لاوجود له .

والاحزاب التى كانت بفعل تسلط المصلحيين والعملاء عليها ادوات يحركها الاستعمار وفق أهوائه ، والتى كانت القاعدة فيها كلها سلما ترتقي عليه طبقة تحترف القيادة وتسخر الحزب والقاعدة لتحقيق اغراضها ومصالحها الشخصية .

والحزبية التى كانت بفعل تصارعها تخلق انقسامات فى صفوف القاعدة الشعبية فتضعف بذلك مقدرة المجتمع على مجابهة الاخطار القومية .. أصبحت اليوم منعدمة يأخذ مكانها اتحاد قومى يجمع الشعب كله فى اطار واحد ..

والتخلف الصناعى الذى كان الاستعمار من خلاله يجعلنا تحت رحمته ، نستورد منه الابرة والخيط وكل مانحتاج اليه من ضروريات وكماليات ، فنبقى بذلك سوقا لمنتوجاته ، ونبقى فى الوقت ذاته مزرعة يستغل خيراتها الزراعية ، انعدم وجوده ، واصبح مجتمعنا يعيش ثورة صناعية جبارة تنتج بما يزيد عن حاجتنا ، وتساهم بالزيادة فى تحرير اقتصاد الدول حديثة الاستقلال ...

والتخلف الاقتصادى ، الذى كنا من جرائه نعتمد على الزراعة فقط ، وكانت ثرواتنا بسببه رغم كثرتها ووفرتها ، يستبد بها الاحتكاريون الاجانب وفئة قليلة من العملاء ، اضمحل وانعدم وجوده ، وأصبحت تاخذ مكانه ثورة اقتصادية تهدف الى مضاعفة الدخل القومى خلال سنوات قليلة ، ورفع مستوى المعيشة لكل مواطن ، وتحرير كل فرد من أغلال الحاجة والفقر .

والاستغلال ، استغلال الغنى للفقير ، واستغلال القوى للضعيف ،

واستغلال الحكومات والاحزاب ورجال الدولة لمناصبهم سعيا وراء ثراء حرام ... الذى كان من ابرز مظاهرمجتمع قبل الثورة ، ومن اهم عوامل فساد ذلك المجتمع ، قضى عليه واستؤصلت جذوره وحلت مكانه .. عدالة ومساواة .

والاعتماد على الاستعمار ، الذى كان دعامة الحكومات ، ووسيلة الاحزاب فى الوصول الى الحكم ، أصبح فى المجتمع الجديد خيانة كبرى تتولى الدولة مسئولية حماية المجتمع من مقترفيها بتقديمهم للمحاكمة وضربهم بيد من حديد .. وصار الاعتماد على الشعب هو دعامة الحكم ، ووسيلة كل مواطن يسعى الى خدمة الشعب عن طريق الحكم .

والشعارات الكاذبة التى كانت ترفعها الاحزاب والعناصر الانتهازية والمصلحية لخداع الجماهير وتضليلهالم يعد احد يجرأ على رفعها أو المتاجرة بها ، فقد تولت الثورة حماية المجتمع من المضللين والمخادعين .. بل ان تلك الفئات حوربت بلا هوادة حتى اقتلعت جذورها وطهرت الارض العربية من مفاسدها .. وغدت سماؤنا لا تخفق فيها ، ولا تتردد فى جنباتها غير شعارات صادقة ترفعها العناصر المؤمنة المخلصة القادرة على جعل كل شعار حقيقة ملموسة .

والمساومة على حقوق الشعب التى كانت مادة فى يد الحكومات والاحزاب تساوم عليها من أجل كرسى الحكم ، انعدم وجودها ، وأصبحت حقوق الشعب مقدسات تحافظ عليها الدولة وتحميها من المتآمرين والانتهازيين .. وتبذل كل الجهد لاستعادة مافرطت به حكومات قبل الثورة .

والاحتكارات الاجنبية التى غدت بلادنا من جرائها مزرعة كبيرة يملكها الاجنبى ، والتى غدا الاجنبى من خلالها يتحكم بمقدراتنا الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، قضى عليها .. استعادتها الثورة وجعلتها ملكا للشعب يستفيد من أرباحها ويستعين من دخلها فى مضاعفة الدخل القومى ورفع مستوى المعيشة .

والعملاء والانتهازيون حكام مجتمع قبل الثورة ، الذين كانوا يعيثون فى المجتمع العربى فسادا ، ويتخذهم الاستعمار أدوات لتنفيذ مآربه ووسائل لتحقيق أغراضه اقتلعت جذورهم وقضى

على شرورهم ولم يعد لهم متسع ، بل ولم تعد هناك ثغرة ينفذون منها .. أصبح المجتمع العربى الجديد متماسكا قويا ، لا مكان فيه لعميل او انتهازى .

والحكام الخونة الذين كانوا فى سبيل مصالحهم وشهواتهم يغدرون بالشعب ويقترفون الخيانات ضده لم يعد لهم وجود ، أصبح الحكام أمناء على حقوق الشعب يتولون قيادته فى سلسلة من المعارك لاستعادة الحقوق المسلوبة وتحطيم اغلال العبودية التى خلفها أولئك الحكام الخونة .

وسوء توزيع الثروات الذى من جرائه كان مجتمع قبل الثورة عبارة عن فئة قليلة تعيش بترف ، وغالبية كبيرة محرومة من أسباب الحياة وضروريات العيش ، حلت مكانه عدالة اجتماعية تضمن التوزيع العادل للثروة القومية فينال كل مواطن حقه كاملا غير منقوص ، وتضيق الفوارق فى مستوى المعيشة الى الدرجة التى تجعل العامل يحس بوجوده وقيمته كما يحس بهما مالك الارض أو صاحب المصنع .

وكان لابد لذلك المجتمع من أن يهدم بمعاول قوية حادة ليبنى على انقاضه مجتمع جديدقادر على حماية الوجود العربىومجابهة التحدى التاريخى الذى يشكله الوجود الصهيونى العدائى .

ولم تقدر يد عربية على حمل المعول .. بل ان اليد العربية القادرة على هدم الفاسد وحده دون البناء لم تظهر فى المجتمع العربى ، الامر الذى جعل عناصر الشباب المثقف فيه تتحسس الاخطار الجسيمة التى تتعرض لها الامة العربية دون أن تقدر على درء هذه الاخطار او وضع حد للفساد .

وفجأة بمثل ماظهر الانبياء فى عالمنا تفجرت فى الارض العربية ثورة عملت بيد حازمة على هدم المجتمع الفاسد المتفسخ ، وبناء مجتمع عربى جديد اسسه اشتراكية نابعة من ظروف أمتنا وواقعها وتاريخها .

بدأت أمتنا بذلك تجربة الاشتراكية القومية الانسانية ، وهى الاولى من نوعها فى التاريخ الحديث الذى تتجه فيه شعوب الارض كلها الى النظام الاشتراكى خاصة الدول حديثة الاستقلال التى ترزح تحت أعباء التخلف الاقتصادى من جهة والتى ما زالت

الاحتكارات الاجنبية تسيطر على مقدراتها الاقتصادية من جهة أخرى

لقد عرف عصرنا أنواعا من الاشتراكيــة .. بعضها يقوم على أساس حتمية ثورة عالمية تقوم بها الطبقة العاملة ، ثم عدل هذا الاساس على ضوء تجربة ثورة الصــين فى المؤتمر العشرين الذى عقدته الاحزاب الشيوعية فى موسكو ولـكن التعديل لم يتنـاول حتمية الصراع الطبقى بل انه أبقى هذه الحتمية جوهرا للفلسـفة الشيوعية الدولية .

وبعضها الآخر يقوم على أساس العنصر والجنس كالاشتراكية النازية التى ابتدعها هتلر ، أو الاشتراكية الفاشستية التى ابتكرها موسولينى .

وبعضها الآخر كالاشتراكية التى يتطور اليها النظام الرأسمالى تطورا حتميا غير ثورى كاشتراكية حزب العمال البريطانى .

ان الاشتراكية التى تنفذ فى مجتمعنـا العربى ، فى الجمهورية العربية المتحدة ؛ لاتقوم على أساس طبقى ولا تؤمن بالصراع الطبقى ولا بحتميــه الثورة العماليــة ولا تؤمن بتسلط طبقــة العمــال « البروليتاريا » على غيرها من الطبقات ، فترفض أن يكون الفرد مجرد آلة .. انها تؤمن بان الحكم للشعب لا لطبقة واحدة منه، وتؤمن بانعدام الطبقية وتعمل على هذا الاساس ، كذلك تؤمن بأن للفرد قدسية ،وتؤمن باذابة التناقضات الاجتماعية الموجودة بين عناصر الشعب عن طريق وحدة هذه العناصر بذلك فانها تختلف كل الاختلاف ، بل تتناقض تناقضا حتميا مع الشيوعية الدولية

ثم أن الاشتراكية العربيــة ليست عنصرية النزعــة ولا تؤمن بالتسلط العنصرى ، انها تؤمن بحق كل شعب فى التمتع باستقلاله وممارسته الفعلية لهذا الاستقلال كما تؤمن بحق كل شــعب فى أن يختار النظام المعيشى الذى يلائمه دون أن يكون هناك تدخل فى شئونه أو تأثير على نوع النظام الاجتماعى الذى يختــاره .. بذلك تختلف عن الاشتراكية الفاشستية ، بل تتنــاقض تناقضا حتميا معها .

كذلك ، الأشـــــتراكية العربية تؤمن بالثورية فى التنفيذ .. انها لو تؤمن بغير الثورية ، بالتطور البطىء التـدريجى مثـلا ، سيستحيل عليها أن تصل الى المرحلة التى تعيشها اليوم .. ذلك لأن مجتمعنا الذى ورثته مليئا بالفساد والرواسب ومخلفات آلاف

السنين ، سبيله الوحيد الى الانقاذ هو الثورة .. بذلك تختلف كل الاختلاف عن اشتراكية حزب العمال النابعة من ظروف بريطانيا ومستوى الفرد المعيشى المرتفع فيها ..بل ان الاشتراكية العربية تتناقض تناقضا حتميا مع تلك الاشتراكية وليدة احتياجات المجتمع البريطانى المتقدم الذى يعيش قمة الثورة الصناعية .

على أساس ماتقدم تكون الاشتراكية العربية ، الاشتراكية التعاونية الديمقراطية ، وليدة ظروف مجتمعنا المتخلف اقتصاديا واحتياجات هذا المجتمع الذى كانت رواسبه الماضى تعوق حركته وانطلاقه وتاديته لرسالته الانسانية ودوره الايجابى فى الحياة .

وهناك ولا شك ، فى أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ، دول حديثة الاستقلال أو ساعية الى التحرر والاستقلال ظروفها السياسية مماثلة لظروف الجمهورية العربية المتحدة ، وأوضاعها الاجتماعية مشابهة لاوضاعها ، وحرصها على انتصاراتها لا يقل عن حرص الجمهورية العربية المتحدة على انتصاراتها .. نبحث عن تجربة تلائم ظروفها وأوضاعها فلا تجد غير التجربة الاشتراكية العربية .

ان تلك الدول حديثة الاستقلال تبغى ولا شك تحرير اقتصادها من يد المحتكرين الاستعماريين لانها تريد أن تمارس استقلالها ممارسة فعلية ، ويستحيل عليها أن تقدر على هذه الممارسة مالم تتحرر اقتصاديا ويصبح اقتصادها ملك يديها . وتبغى فى الوقت ذاته أن لا تقع وهى تخوض معركة تحرير الاقتصاد فريسة دولة كبرى جديدة .. ان الدول حديثة الاستقلال تخشى جميع الدول الكبرى لان لكل دولة اطماعا لاحصر لها واستراتيجية بعيدة المدى تريد الوصول اليها .. لاتريد تلك الدول مثلا أن تتحرر من الراسمالية العالمية لتقع فى قبضة أو نفوذ الشيوعية الدولية .. كذلك الحال بالنسبة لدولة تنجو من مخالب الشيوعية ، انها تكون حريصة أشد الحرص على أن لا تقع فريسة الراسمالية أو الاستعمار الغربى .

والتجربة الوحيدة التى مارست حماية الاستقلال وتحرير الاقتصاد وخاضت فى سبيل ذلك سلسلة من المعارك وصلت الى

حد عدوان مسلح عليها اشتركت فيه دول ثلاث ، ونجحت في تاكيد ذلك وتجســيده دون أن تتمكن الدول ذات الاستراتيجية البعيدة أو غيرها من الدول الطامعة في التسلط والسيطرة من التأثير على استقلالها وسياستها أو بسط نفوذها على اقتصادها، هي التجربة الاشتراكية التعــاونية الديمقراطية التي تمارســها الجمهورية العربية المتحدة وتؤكد بها مقدرة الدول الصغيرة حديثة الاستقلال على انتزاع حقوقها وحماية مكاســبها وانتصاراتهــا الوطنيــة والقومية ..

وكان من الطبيعي للدول حديثة الاســتقلال وهي ترفع راية حريتها أن تستفيد من تجربة الجمهورية المتحدة لابقاء هذه الراية رمزا اكيدا للاستقلال فتعمل على تحرير الاقتصاد لتصبح قادرة على ممارسة الاستقلال ممارسة فعلية أكيدة ، ومثل هذه الممارسة لايمكن ضــمانها الا بالقضــاء على الاحتكار والاحتكاريين والعمل بموجب نظام اقتصــادي جديد يقوم على أســاس عدالة التوزيع وتحريم استغلال الانسان لجهد أخيه الانسان .. واتباع سياسة الحياد الايجابي وعدم الانحياز ، أي بعدم السماح للدول الكبرى ذات الاطماع والاستراتيجية البعيدة المدى من التدخل في شئونها وطريقــة عيشها ..

وقد استفادت جميع الدول حديثــة الاستقلال من التجربة العربية بل ان هذه التجربة الجديدة لعبت دورا كبيرا في اقتلاع جذور الاستعمار وتحطيم قلاعه والتعجيل في تصفيته والقضاء على نفوذه ، دون أن تتيح الفرصة للشيوعية الدولية أن تأخــذ مكانه ، ولذلك فانها تلقى مقاومة عنيفة ولقاء غير ارادي وعــداء حادا من الاستعمار والصهيونية العالمية والشيوعية الدوليــة على السواء ..

يجد الاستعمار في التجربة العربية الناجحة خطرا يهدد مصالحه ووجوده ليس في العالم العربي فحسب بل وفي جميع الدول حديثة الاستقلال . لقد اضطر أمام قوة الدفع الثوري المتفجرة في الدول المستعمرة الخاضعة لنفوذه الى التراجع والتقهقر وتغيير الاسلوب في السيطرة .. قبل صاغرا أن ترتفع رايات الاستقلال .. وقد أخذت هذه الرايات تخفق في سماء أفريقيا وآسيا القارتين اللتين

كانتا مناطق نفوذ له معلنه انتصار ارادة الشعوب .. ولكنه احتفظ لنفسه بالاحتكارات الاقتصادية ، هكذا حاول ، وأصبح أسلوبه الجديد يعتمد على هذه الاحتكارات يتخذها وسيلة لابقاء نفوذه وسيطرته ، وكان يمكن لهذا الاسلوب أن ينجح لو أن الاستعمار نجح فى الاحتفاظ بالاحتكارات .. أو لو أن تجربة كتجربة الجمهورية العربية المتحدة لم تمارس ولم تصبح تعاليم وفلسفة تاخذها الشعوب وتمارسها على الطبيعة فى بلادها .

أيقنت الشعوب حديثة الاستقلال ان الممارسة الفعلية لاستقلالها لايمكن أن يتم ، على ضوء تجربة الجمهورية المتحدة : الا بتحرير الاقتصاد ، ولذلك فانها عمدت فور حصولها على الاستقلال السياسى ، وفور ارتفاع راية الاستقلال فى سمائها ، الى مواصلة الكفاح لتاكيد الاستقلال .. لم تعد تخشى الشيوعية الدولية ، الاسطورة التى كان يلوح بها الاستعمار وعملاؤه والاحتكاريون فى وجهها .. ها هى الجمهورية العربية المتحدة قد حررت اقتصادها وأممت كافة المرافق التى كان يسيطر عليها الاجانب المحتكرون ، وخاضت غمار حرب فعلية .. وبقيت بمنأى عن أخطار الشيوعية .. هكذا تلاشت الاسطورة الشيوعية ، وبذلك انطلقت الشعوب تواصل زحفها المقدس ، تستعيد الاستثمارات التى يملكها الاجنبى ، وتحطم آخر القلاع التى يحتمى فيها الاستعمار .. واضعة نصب عينيها التجربة العملية التى مارستها الثورة بقيادة عبد الناصر .

بسبب ذلك ، فان الاستعمار بكل امكانياته يحارب هذه التجربة ويتآمر باستمرار لضرب الثورة التى لولاها لما كانت هذه التجربة وهذه التصفية العاجلة له .

والشيوعية الدولية ، تجد هى الاخرى فى التجربة العربية خطرا يهدد استراتيجيتها البعيدة الهادفة الى السيطرة الشاملة على العالم .. كانت ترى قبل نجاح الجمهورية المتحدة فى تجربتها الاشتراكية ، ان الدول حديثة الاستقلال بعد تحررها السياسى من قبضة الاستعمار تتجه اتجاها حتميا الى الشيوعية ، والحجة فى ذلك تقوم على أساس ان هذه الدول حديثة التحرر تكون فى حاجة الى الحماية ومساعدات مادية وفنية تعينها على تحمل

الاعباء الجديدة وازالة رواسب ومخلفات الاستعمار ورفع مستوى المعيشة وزيادة الدخل القومي وبناء قوة قادرة على درء الاخطار ومنع الاستعمار من العودة ثانية .. ومثل هذه الحماية والمساعدات يستحيل أن تتوفر للدول حديثة الاستقلال من الدول الاستعمارية الغربية بسبب تجربتها المريرة معها ثم بسبب عدم الثقة بها والاطمئنان اليها ، فتكون والحالة هذه مضطرة الى الاعتماد على الشيوعية الدولية على اعتبار انها القوة العالمية القادرة على تقديم العون المادى والحماية اللازمة ، وبذلك تأخذ الشيوعية مكان الاستعمار . وتبدأ من خلال المركز الجديد الذى تكون قد وصلت اليه فى تغذية الصراع الطبقى والتسلل الى الطبقة العمالية والاوساط الشعبية الفقيرة المتلهفة لسماع شعار يرتفع بالمطالبة لها بعمل وخبز وكساء .. فتحقق بذلك جزءا من استراتيجيتها العالمية .

ولكن الذى حدث بعد نجاح التجربة العربية أن الشعوب حذت حذو التجربة التى مارستها الثورة العربية .. دكت قلاع الاستعمار المتبقية ، وحطمت تلك القلاع واقامت على انقاضها سدا يمنع التسلل الشيوعى .. لم يكن السد الجديد أسوارا مسلحة تبنى أو ابراجا حديدية تقام ، انما كان نظاما معيشيا يحرر المواطن من الاستغلال والفقر والحاجة ، وعند انعدام الاستغلال والفقر ينعدم الجو الملائم لرفع الشعارات الشيوعية، بذلك تكون الابواب بعد طرد الاستعمار وتطهير البلاد من آثاره قد أوصدت فى وجه الشيوعية التى تبحث دوما وباستمرار عن تربة تصلح لبذر بذورها ، فلا تجد هذه التربة اللازمة لها الا فى البلاد المتخلفة التى تابى الانطلاق والزحف والثورة على الواقع الفاسد ومثل تلك البلاد تكون ولا شك ترزح تحت نير العملاء والرجعية ..

ان التجربة العربية كما أثبتته الاحداث والتجارب والوقائع خطر جديد تجابهه الشيوعية الدولية أشد من خطر الاستعمار ، ذلك أن أى مجتمع يتسلط عليه الاستعمار يكون بحكم التخلف الشديد الذى يعيشه ملائما للشعارات الشيوعية ، كذلك الحال بالنسبة لكل مجتمع متخلف لم يهتد الى طريق الثورة الاجتماعية ، فى حين أن مجتمع التجربة العربية تنعدم فيه تلك الاجواء ويصبح تسلل الشيوعية أو نموها امرا مستحيلا .

لذلك تلقى هذه التجربة من الشيوعية الدولية عداء تلتقى فيه التقاء غير ارادى مع الاستعمار والرأسمالية العالمية .

والصهيونية الدولية أيضا وهى صاحبة مخطط ابعاده ترمى الى السيطرة على العالم العربى واتخاذ هذه المنطقة قاعدة للتسلل وبسط النفوذ الاقتصادى والمالى على القارتين الافريقية والاسيوية اللتين تعيشان بحكم آثار الاستعمار ورواسب الماضى فى تخلف اقتصادى واجتماعى ، ترى فى التجربة العربية أشد أنواع الخطر على أهدافها وقاعدة احتشادها ، لان الشروط الاساسية التى تعتمد عليها فى تنفيذ برامجها وخططها العدوانية ينتفى وجودها ، وتظهر بالاضافة الى ذلك عوامل جديدة تجعل تنفيذ المخطط الصهيونى أمرا مستحيلا . .

من أهم العوامل التى ساعدت الصهيونية العالمية والاستعمار على احراز نجاح أولى فى مخططهما باغتصاب جزء من فلسطين واتخاذ هذا الجزء قاعدة للاحتشاد .. عدم وجود المجتمع العربى الواعي المتماسك ، وعدم وجود قوة عربية كنتيجة حتمية لذلك .. بانعدام هذين العاملين تمكنت الصهيونية من اقامة جسر لها فى الوطن العربى ، وعلى أساس هذا الانعدام أيضا رسمت خطط المستقبل الرامية الى توسيع الارض المحتلة ثم القيام بقفزة كبيرة تحقق فيها دولة صهيون التى تحلم فيها الصهيونية العالمية وتعمل بكل امكانياتها لان تجعل من هذا الحلم حقيقة ..

ولكن الفراغ الكبير الذى كان يعانيه المجتمع العربى من انعدام التماسك والوعي والقوة سدته ثورة ٢٣ يوليو .. أزالت منه جميع حالات الضعف ، واعادت بناءه على أساس الاشتراكية التعاونية الديمقراطية ، فغدا بذلك مجتمعا قويا واعيا على الإخطار التى تهدد وجوده ، وكان المعنى البديهى لذلك أن الشروط الهامة التى كانت تعتمد عليها الصهيونية فى تحقيق اغراضها العدوانية قد خسرتها ، وان شروطا جديدة كان فقدانها من المجتمع العربى سببا رئيسيا فى كل نجاح حققته الصهيونية والاستعمار فى العالم العربى أصبحت بالتجربة الجديدة متوفرة .

أن أهم ثمرات التجربة العربية هى خلق مجتمع عربى جديد قادر على مجابهة التحدى التاريخي الذى تتعرض له الامة العربية، وخوض معركة الوجود بالمستوى الذى تتطلبه هذه المعركة مع الصهيونية العالمية ذات الامكانيات المادية الضخمة .

بهذا فان الجمهورية العربيــة المتحـدة بتجربتها الاشــتراكية اصبحت قادرة على حماية الوجود العربي وخوض معركة المصير مع الوجود الصهيوني والحركة الصهيونية العالمية التي تتخذ من فلسطين المغتصبة قاعدة انطلاق لغزو افريقيا وآسيا ودول أمريكا اللاتينية بالتآمر مع الاستعمار الذي أوجـدها لتكون مخلبـا في العالم العربي وستارا خادعا له في افريقيا وآسيا القارتين اللتين تتأجج فيها ثورات الشعوب وهي الآن ، أي الجمهورية ، تخوض المعركة مع الصهيونية العالمية في قاعـدة احتشادها في فلســطين المحتلة وفي كل مجال امتدت اليه أصابع الصهيونية في العــالم ، فتتحمل بذلك مسئولية الامة العربية كلها وثقل المعركة التي يترتب على نتائجها مصير العرب ووجودهم .

كان العرب قبل ثورة ٢٣ يوليو عاجزين العجز كله عن خوض المعركة مع الصهيونية العالمية ، وعندما أقيم رأس جسر للصهيونية في الوطن العربي بقى العرب عاجزين عن تدمير ذلك الجسر ، بل وبقوا عاجزين عن وقف الهجمات المتلاحقة التي كانت تنطلق كل يوم من ذلك الجسر تصدع حدودهم .. وكان عجزهم واضـحا أكثر وأكثر في المجال الدولي .. لم يكن العرب في وضع يمكنهم من محاربة النفوذ الصهيوني الذي بازدياده تزداد أخطار الصهيونية على بلادهم ووجودهم ومصيرهم ، بل انهم لم يكونوا قد وصلوا مرحلة الادراك لخطر النفوذ الذي يمتد الى أفريقيا وآسيا .

وفي فترة العجز هذه كانت الصهيونية العالمية تنطلق من القاعدة العدوانية ، من اسرائيل للتغلغل في أفريقيا ، ولم تـكن أفريقيــا بعد قد بدأت تقطف ثمار الثورات ، لم تكن رايات الاستقلال قد خفقت في سمائها بعد ، كانت منطقــة نفوذ للاســتعمار تتقاسم احتكاراتها الدول الغربية ..وقد هيأت دول الاستعمار في مناطق تسلطهــا لاسرائيل مهمــة التســلل الى المستعمرات لتكون بعد الاستقلال الذي كان قد بدا يلوح في الافق ، هي الاداة التي يتخذها الاســتعمار واســطة لابقاء تدخله في ســياسة الدولة وسيطرته على اقتصادها ومواردها .

ومثل هذا اتبع مع عدد من دول جنوب شرقي آسيا ، دون أن يتنبه العرب الى هذه المهمة التي تؤديها اسرائيل ، والتي من

شأنها أن تعطي الدولة الغاصبة أسباب القوة والبقاء وامكانية تنفيذ المخطط بسرعة أكثر ، لان اسرائيل قاعدة الصهيونية العالمية بحكم طبيعة الارض التي تغتصبها وصغر مساحة تلك الارض ، ثم بحكم أهدافها التوسعية وابعادها التي تصل الى حد السيطرة على اقتصاد أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية اي على اقتصاد العالم المتخلف اقتصاديا بشكل خاص ، تعني بالصناعة وتبني وجودها على أسس صناعية ، ومن البديهيات المعروفة أن ازدهار الصناعة في بلد صغير لايتجاوز عدد سكانه المستوردين من شتى بقاع الارض المليونين الا بقليل يتوقف على مقدار الاسواق التي تقدر على غزوها وكسبها وتصريف المصنوعات فيها ، ومثل هذه الاسواق بالنسبة لبلد كاسرائيل لا يمكن توفره الا في البلدان المتخلفة صناعيا واقتصاديا ، لذلك كان هدف الصهيونية العالمية فور اقامة اسرائيل ان تبدأ في غزو الاسواق الافريقية والاسيوية واسواق أمريكا اللاتينية ، وقد ساعدها الاستعمار في ذلك وساعدتها الجاليات اليهودية التي تنتظم في الحركة الصهيونية العالمية في التسلل .. وكي تكسب الصهيونية مزيدا من القوة وتثبيت جذورها في مناطق غزوها عمدت الى تقديم مساعدات مالية وخبرة فنية للدول حديثة الاستقلال رغم أنها تعيش منذ وجودها على مساعدات مالية ضخمة تاتيها كل عام من أمريكا ومن يهود العالم ، ورغم أنها تستجدي مثل هذه المساعدات استجداء قام به وايزمن أول رئيس للدولة الغازية ثم واصل مهمته بعد موته بن غوريون وكافة شخصيات الصهيونية العالمية .

ان غرض اسرائيل من وراء المساعدات المالية والفنية التي تقدمها هو تدعيم وجودها ونفوذها على حد سواء ، انها بهذه المساعدات تامل أن تكسب أصدقاء ومؤيدين ، وفي حالة تحقيقها لمثل هذه المكاسب تكون بالفعل قد دعمت وجودها في المجال الدولي . وتكون قد ضمنت الى جانبها عددا كافيا من المؤيدين لوجودها وبقائها في الامم المتحدة ، ثم انها عن طريق هذه المساعدات تكون قد زادت من نفوذها ، بل انها تكون قد أوجدت لها نفوذا من العدم ، لانها تقف في هذه الحالات جنبا الى جنب مع الدول الكبرى صاحبة الامكانيات المادية الهائلة التي تتسابق في تقديم المعونات للشعوب حديثة الاستقلال والبلدان المتخلفة اقتصاديا

على أمل كسب أسواق لمنتوجاتها الصناعية وتاييد لقضاياها القومية ، وقد حققت اسرائيل من وراء مساعداتها بعض ماكانت تصبو اليه ، قطعت أشواطا ليست قصيرة فى التغلغل والتسلل الى اقتصاد أفريقيا وآسيا ، وكسبت بالفعل اعتراف عدد من الدول حديثة الاستقلال بكيانها ووجودها ، ثم كسبت أسواقا تجارية لمصنوعاتها .. والاخطر من هذا ، انها اتخذت من تسللها ومن الابعاد التى وصلت اليها مراكز رئيسية للهجوم على العرب والاساءة اليهم وتشويه سمعتهم لدى الرأى العام الافريقى والاسيوى ، وتمادت فى ذلك الى حد انها بدأت تسعى جادة لمحاصرة العرب فى ديارهم واغلاق أبواب افريقيا وآسيا فى وجوههم .. بدأت تنتزع من العرب سلاح المقاطعة الذى أشهروه فى وجهها وبدأت فى الوقت ذاته تحيط العرب بمجموعة من الدول معادية لهم عن طريق نشاط مسموم تقوم به فى كل دولة اتيحت لها فرص التسلل اليها ، وقد اتيحت لها مثل هذه الفرص فى جميع انحاء القارة الافريقية وقارة اسيا بفضل الاستعمار الذى كان يسيطر عن طريق الاحتلال أو عن طريق النفوذ على القسم الاكبر من القارتين .. وكان الاستعمار يفعل ذلك وفق خطة رسمها .. كانت تقضى خطته ان تقوم اسرائيل قاعدة الصهيونية ومخلبه واداته بالتسلل الى الاقتصاد بغية السيطرة عليه ، ومن خلال ذلك يكون الاستعمار قد ضمن لاحتكاراته ونفوذه وامتيازاته البقاء لان اسرائيل تكون قد بدأت القيام بمهمته فتكون النتيجة الحتمية لذلك أن الدول الإفريقية والاسيوية حديثة الاستقلال تستيقظ عند رفع رايات الاستقلال على نفوذ جديد وتسلل حديث النوع موجود بجذور عميقة الامر الذى يخلق لهذه الدول نوعا جديدا من المشاكل والتعقيدات السياسية والاقتصادية .

ولئن كان الاستعمار هوالذى فتح أبواب أفريقيا وأسيا المتصلتين بالعرب جغرافيا وتاريخيا ومصيريا ودينيا للصهيونية العالمية بغية مساندته فى تضييق الخناق على الامة العربية ، فان الصهيونية العالمية من جهتها ، فى الوقت الذى تؤدى فيه خدماته وتحقق أغراضا بعيدة للاستعمار من وراء مهمتها التى تضطلع بها ، تستفيد من هذه الفرص الذهبية فى تاريخها لان تنفيذ برامجها الرامية الى بسط نفوذها وسيطرتها الاقتصادية على القارتين

الافريقية والاسيوية ، وزيادة مواردها وامكانياتها التى تسخرها لتوسيع رقعة الارض التى تحتلها ،. أى القيام بجولات جديدة بغية اغتصاب المزيد من الاراضى العربية وتشريد المزيد من أبناء هذه الامة.

ولم يكن العرب الذين عجزوا عن صد الغزوة الصهيونية وتدمير الجسر الذى أقامته فى الوطن العربى ، فى وضع يمكنهم من ممارسة أى نوع من النشاط لفضح مهمة اسرائيل كرأس جسر للاستعمار واداة اجرامية فى يده ومخلبا ساما يحركه وفق أهوائه ... كان العرب فى تلك الفترة كالرجل المريض الذى لايقوى على مواجهة أى تحد من رجل قوى .... كانوا فى فترة الضعف والانحلال التى جعلتهم لايقوون على مقاومة العدوان داخل ديارهم ، فكيف بهم يقوون وهم فى تلك الحالة على مقاومة العدوان الذى يدبر ضدهم خارج بلادهم .. لم يكونوا بعد قد أدركوا مدى خطورة الوجود الصهيونى فى بلادهم على وجودهم وحياتهم ومصيرهم ... لذلك فانهم لم يحاولوا الاستفادة من الامكانيات الهائلة التى يملكونها فى مواجهة مؤامرات الصهيونية والاستعمار .. لم يحاولوا التهديد، مجرد التهديد ، بالبترول وبالامتيازات الكثيرة التى يحتكرها الاجنبى فى ديارهم لوقف الاستعمار عند حده فى التآمر على مصائرهم وقضاياهم القومية . كان بعضهم فى فترة الاندفاع وراء الملذات وكان بعضهم الآخر من الملوك والرؤساء فى فترة الاندفاع وراء الآمال التى يمنيهم بها الاستعمار ، لم يكن واحد من المسئولين يعيش تلك الفترة فى جدية وخطورة تلك الفترة ... وكان من الطبيعى والحالة هذه ان تنفذ اسرائيل الى القارتين الافريقية والاسيوية المتصلتين بالعرب اتصالا وثيقا ، وان تشن فيهما حربا دعائية ضد العرب بقصد تسميم الجو الافريقى والاسيوى ضدهم ثم بقصد خداع وتضليل الرأى العام الافريقى بتصوير اسرائيل واحة باسمة فى الصحراء العربية القاحلة ، دون ان تجد مقاومة ، اى نوع من المقاومة من العرب .

حدث ذلك كله فى فترة العجز التى كان يعيشها العرب وهى فترة ماقبل الثورة ، حدث التسلل الصهيونى بدون مقاومة من العرب ، وفتح الاستعمار أبواب المستعمرات للصهيونية العالمية واسرائيل قاعدة انطلاقها دون ان يتنبه العرب الى اخطار ذلك ،

وضاعت من العرب فرص كبيرة فى افريقيا وآسيا دون ان يدركوا قيمة تلك الفرص .

كانت تلك الفترة هي العهد الذهبى فى تاريخ الصهيونيةالعالمية وكانت الصهيونية تقدر كل يوم من ايام عهدها الذهبى ذاك فعاشت كل لحظة فى عمل متواصل لقطع مسافات أبعد فى تحقيق برامجها ومخططها كى تقترب اكثر وأكثر الى أهدافها البعيدة .. كانت تقدر بانها فى صراع مع الزمن ، وكان الزمن فى نظرها هو فتـرة العجز التى يعيشها العرب .. لانها وقتئذ فقط كانت تقدر على العمل بحرية ، وقد عملت بالفعل بحرية تامة وبدون أى نوع فى المقاومة من اعدائها العرب الطامعة فى بلادهم ، المغتصبة فلسطين منهم ، ولم تكن الصهيونية العالمية تتوقع المقاومة من غير العرب ولم يكن غير العرب يتعرض الى مثل الاخطار التى تهـدد الوجود العربى ،فالغزوة الصهيونيةلم توجه لافريقيا ولالاى شعب أواى بلد من بلدان العالم رغم وجود الاستعمار فى كثير من القارات ، انما وجهتها ضد الامة العربية .. ولذلك فان المقاومة لهذه الغزوة يجب أن يتحملها العرب ، وعجز العرب فى تلك الفترة عن المقاومة الايجابية الفعالة القادرة على التدمير والافناء ، فاغتنمت الصهيونيةالعالمية تلك الفترة لمواصلة برامجها التوسعية ، وكانت افريقيا واسـيا الهدف الجديد لها ، وذلك لعوامل كثيرة اهمها :

١ ــ ان الاستعمار المتسلط على القارتين ، المتامر على العـــرب وقضاياهم ، فتح أبواب القارتين للصهيونية العالمية واتاح المجـــال للراسمال الصهيونى لان يتغلغل ويؤدى مهمته التى يبرع فى تاديتها اكثر من براعته فى أى مجال آخر ، وهذا أمر تاريخى تعرفه شعوب الارض كلها ولايجوز لنا ان ننكره او نقلل من خطره .. وبسبب وجود المستعمر حاكما فعليا فان التغلغل وصل الى ابعاد هى فى غاية الخطورة، يكفى ان نعلم بان شركة يهودية تستثمر الماس فى مقاطعة كاتنغا فى الكونغو وفى اتحاد جنوب افريقيا هى التى تتحكم فى سوق الماس العالمية ، وان رؤوس الاموال اليهودية هى التى تسيطر على كثير من الاقتصاديات الافريقية خاصة المعادن والثروات الطبيعية التى تشكل موارد رئيسية لدول الافريقية .. لندرك مدى الابعاد التى وصل اليها التغلغل الصهيونى

وفى الوقت الذى كان فيه المستعمر يدعو الصهيونية العالمية لان

تغرس جذورها السامة فى الارض الافريقية والاسيوية .. كان يحول بشدة ويمنع بعنف دخول العرب ، بعد انتهاء فترة عجزهم ، الى افريقيا وآسيا .. لم يسمح للعرب بعد يقظتهم الثورية بارسال بعثات دبلوماسية أو تجارية ، حتى ولادينية الى البلاد الافريقية والاسيوية التى يتحكم بمصيرها ومقدراتها ، فى حين ان لاسرائيل الكثير من البعثات الدبلوماسية والتجارية وغيرها .. لقد اغلق الاستعمار جميع الابواب التى يقدر عليها فى وجه العرب وفتح تلك الابواب على مصراعيها للصهيونية العالمية متمثلة باسرائيل وبرؤوس الاموال اليهودية وقصده من وراء ذلك اصبح مكشوفا ، كشفه الرئيس جمال عبد الناصر للراى العام الافريقى الاسيوى بشكل خاص وللرأى العام العالمى كله ، رغم عمليات التضليل التى احيط به التغلغل لتغطية جانبى المهمة التى تؤديها اسرائيل .

الجانب الاول :

ان التغلغل الصهيونى بشتى انواعه هو تنمية فعليـــة للمؤامرة الكبرى التى اعدها الاستعمار ونفذها ضد العرب ، لان اسرائيـل بهذا التغلغل تحقق مكاسب كثيرة وتحرم العـــرب من العمـل فى مجالات العمل لهم فيها ميسور .

الجانب الثانى :

ان الراسمال الصهيونى يتولى بعد ارتفاع رايات الاســتقلال فى افريقيا اكمال مهمة الاستعمار فى ابقاء السيطرة على الاقتصاد وفى التاثير على سياسة الدولة والتدخل فى شئونها والتجسس عليهـا من خـلال ذلك .

٢ ــ ان القارتين بحكم ظروفهما الاقتصادية والاجتماعية ، وهى ظروف وليدة الاستعمار ولاشك ، تعتبران تربة خصبة للصهيونية العالمية البارعة فى امتصاص الخيرات وتوظيف رؤوس الاموال ثم احتكار التجارة .. ولذلك فان الحركة الصهيونية العالمية عندما اعدت العدة بمساندة الاستعمار الفعلية للقيام بغزو فلسطين كانت تبغى من وراء ذلك اتخاذ فلسطين قاعدة لغرضين رئيسيين :

الغرض الاول :

ان تحشد فيها جيشا قوامه مليون جندى من فتيان الصهيونية

تجمعهم من اطراف العالم ليكون عدتها في الجولة الثانية وفي الجولات الاخرى التي تعقبها مع العرب بغية السيطرة على بقاع جديدة من أرضهم .

الغرض الثاني :

ان تتخذ منها مركزا تنطلق منه لغزو أفريقيا واسيا غزوا اقتصاديا وصناعيا عن طريق راس المال الذي توظفه وتقدمه كقروض ، وعن طريق صناعتها التي لاسبيل لها الا في بلدان متخلفة اقتصاديا كالبلدان الافريقية الاسيوية .

وقد عملت الصهيونية العالمية منذ اقامة جسر لها في الوطن العربي على تنفيذ الغرضين في آن واحد ، فهي في الوقت الذي تجمع فتيان الصهيونية من كافة أقطار العالم ليكونوا جيشها الذي تعده للغزوة الثانية على العالم العربي ترتدي ثياب الحمل الوديع وتتسلل الى افريقيا وآسيا .. غير أن هذا التسلل افتضح أمره بعد ان بدأ الوجود العربي يمارس وجوده ممارسة فعلية حركية .

٣ ـ ان القارتين ترتبطان بالعرب ارتباطا وثيقا يمتد الى اربعة عشر قرنا من الزمن ، وأن هذا الارتباط يتيح للعرب فرص العمل والنشاط وكسب الاصدقاء بل والاسواق أكثر مما يتاح لغيرهم خاصة لحركة كالحركة الصهيونية العالمية بعد افتضاح أمرها .. لذلك سارعت الصهيونية العالمية بعد اقامة قاعدة ارتكاز واحتشاد لها مغتنمة فترة العجز التي يعيشها العرب ، في الانطلاق نحو افريقيا وآسيا يحدوها الامل في كسب الجولة الاولى في هاتين القارتين كما كسبت الجولة الاولى مع العرب ، قبل أن تستيقظ الامة العربية على خطر الوجود الذي يهددها . وقد سخرت الصهيونية العالمية القسم الاكبر من مواردها وامكانياتها لبسط نفوذها الاقتصادي وكسب الاسواق لمصنوعاتها ، وعلى الرغم من صعوبة الحصول على معلومات دقيقة عن المقادير والمبالغ الضخمة والجهود التي تبذلها هذه الحركة الاستعمارية في القارتين وفي قارة افريقيا بشكل خاص . بغية تمكين الجذور التي غرستها أيام كان الاستعمار هو المتسلط وهو الحاكم الفعلي ، الا ان معرفتنا لما تصرفه منظمة الهستدروت احدى فروع الحركة الصهيونية العالمية المتغلغلة في

أفريقيا بشكل خاص يجعلنا نلمس مقدار ماتصرفه الصهيونيةالعالمية فى سبيل بسط نفوذها فى هاتين القارتين .. ان آخر موازنة لمنظمة الهستدروت تساوى بالجنيهات الاسترلينية ٢٦ مليونا . هذا مع العلم الاكيد أن منظمة الهستدروت ليست المنظمة الصهيونية الوحيدة التى تعمل فى افريقيا واسيا ، فهناك الى جانبها اجهزة الدولة الرسمية والكثير من المنظمات الصهيونية العالمية .

من أجل هذه العوامل الثلاث اتجهت الصهيونية العالمية فور اقامة قاعدة ارتكاز لها نحو القارتين الافريقية والاسيوية .. وقد حققت لها بعض المكاسب ، غير أن جميع ماحققته فى هاتين القارتين وفى غيرها من القارات والمجالات والميادين ، ثم فى فترةالعجز العربية التى استمرت حتى عام ١٩٥٢ أى حتى قيام ثورة ٢٣ يوليو التى تعتبر الحد الفاصل فى تاريخ العرب الحديث اذا اخذنا الامور من ناحية الوجود وعدمه .

بقيام هذه الثورة انتهت فترة الضعف والتخاذل والاستهتار وعدم تقدير المسئولية واللامبالاة فى معالجة القضايا القومية ،وحلت القدرة فى العمل مكان العجز واصبح الادراك لاخطار الغزو الصهيونى الذى كان مفقودا قبل الثورة هو المحرك الاساسى والدافع القومى فى العمل الثورى وفى خوض المعركة مع الصهيونية العالمية فى كافة الميادين التى امتدت اليها .

اصبحت الحركة الثورية العربية الحديثة هىالقوة الوحيدة فى العالم كله التى تتحمل مسئولية التصدى للحركة الصهيونيةالعالمية ذات الاهداف البعيدة المدى الرامية الى القيام بعمليات غزو جديدة من اسرائيل قاعدتها العدوانية فى العالم العربى، لاقامة دولة صهيونية على انقاض أمة العرب ، وبسط نفوذها الاقتصادى على أفريقيا وآسيا وجعل هاتين القارتين سوقا لصناعاتها وتجارتها ورأسمالها ومجالا خصبا لبذر بذورها الشريرة .

حتى قيام الثورة العربية ،ثورة ٢٣ يوليو عام١٩٥٢ ،كانتاسرائيل قاعدة الصهيونية العالمية والاستعمار هى التى تتحرك فى كافة الميادين .. تدعم وجودها بمئات الالوف من الشباب الصهيونى تحشدهم فى الرقعةالضيقة منالارضالعربية التى تحتلها ،وتبسط نفوذها فى قارتى أفريقيا وآسيا بغزوات اقتصادية .. وبسبب حركتها وعجز العرب عن مجاراتها فى هذه الحركة حققت بعض

المكاسب ، وكان من الطبيعى ايضا أن تلحق بالعرب ، من جراء عدم قدرتهم على الحركة ، الكثير من النكسات والخسائر ..

ان المبدأ الحياتى الذى يعرفه العالم كله ويمارسه ممارسة فعلية يقول : أن النصر فى كل جولة وكل ميدان هو للاكثر قدرة على الحركة ، والصهيونية العالمية كانت أقدر من العرب فى الحركة وفى سرعة الحركة ، لذلك عاشت فرصة العمر التى اتيحت لها وهى اربع سنوات كاملة من عام ١٩٤٨ الى عام ١٩٥٢ فى حركة دائمة مستمرة

وفجأة تصدت لها القوة العربية الثورية .. لم تكن الصهيونية العالمية تتوقع هذه الثورة ، تماما كما كان الاستعمار لا يتوقع تفجرها .. وعندما أصبحت الثورة حقيقة واقعة فى الشرق العربى حولت كل امكانياتها لضربها وحصر تيارها وتعاونت فى ذلك كل التعاون مع الاستعمار الغربى الذى اعتبر الثورة تهديدا لوجوده فى العالم العربى كله وفى كثير من المناطق الاخرى المجاورة لهذا العالم ، ووصل التعاون بينهما قمته فى العدوان الثلاثى الفاشل الذى تعرضت له الثورة فى نوفمبر ١٩٥٦ . لقد فعلت الصهيونية ذلك ، كما قال زعماؤها وقادتها ، دفاعا عن وجودها ، أحست بقاعدتها مهددة لاول مرة فى تاريخ وجودها باخطار حقيقية لا وهمية

كانت قبل الثورة تتحدث من مركز القوة عن أخطار وهمية بغية التأثير على الرأى العام الصهيونى لتشجيع هجرة الشباب الصهيونى اليها ومضاعفة العون المالى لها وكسب عطف الرأى العام العالمى عليها ...

ولكنها بعد الثورة أصبحت تصرخ صرخات الاستغاثة مطالبة بالحماية لوجودها ولقاعدتها ، فقد بدأت الارادة العربية الثورية تتحرك وتتصارع مع الصهيونية وتخوض المعركة معها فى مستوى معركة المصير والوجود ..

انطلقت الحركة الثورية العربية وهى تملك كل أسباب القوة ، مجتمعا متماسكا قويا لامجال لانتهازى أو عميل فيه ، وتجربة اشتراكية ناجحة لامجال لمحتكر أو استغلالى فيها ، وارادة ثورية لاتعرف التردد ولا التواكل ، تطارد الصهيونية العالمية فى كل مكان تسللت اليه ، وتحاصر قاعدتها بمعدات الموت واجهزة النسف والتدمير

بعد أن نجحت الثورة فى بناء القوة القادرة على حماية الحدود العربية وصد الهجمات الصهيونية المتلاحقة المتدافعة ، وجد قائدها بعبقريته التى أذهل بها العالم وهو يسدد الضربات المميته القاتلة للاستعمار ، ان المعركة مع الصهيونية العالمية لاينحصر ميدانها فى فلسطين فحسب انما يمتد ميدانها ويتسع حتى يشمل كل مكان فى العالم امتدت اليه أصابع الصهيونية أو اجهزة دعايتها .. وكان المعنى الوحيد لذلك أن تمتد المعركة وتتسع حتى تشمل وتلف العالم كله لان فى كل مكان فى العالم جهازا صهيونيا يعمل ..ومعركة فى هذا الاتساع وهذا المستوى تحتاج ولا شك الى امكانيات هائلة نجحت الثورة فى توفيرها .. ومجرد توفير مثل هذه الامكانيات لمعركة فى هذا المستوى هو معجزة ولا شك .

بسبب العوامل التى سبق ذكرها ، كانت الصهيونية العالمية قد ركزت جهودها فى افريقيا وآسيا ، لذلك كانت الضرورة الحتمية تفرض أن يتركز الصراع بين الحركة الثورية العربية وبين الصهيونية العالمية ، فى هاتين القارتين لاعتبارات هامة تتصل بالمبادىء التى جعلها جمال عبد الناصر دستورا مقدسا للجمهورية العربية المتحدة ، وبالرسالة الانسانية العربية التى تحمل عبدالناصر مهمة تأديتها ، عدا عن اتصالها بالمصير العربى .

الاعتبار الاول :

ان الجمهورية العربية المتحدة بعد الانتصارات الضخمة التى حققتها فى معارك حماية الاستقلال وتاكيده وممارسته ، وفى معارك تحرير الاقتصاد العربى ثم فى التجربة الاشتراكية التعاونية الديمقراطية ، وبدافع من المبادىء المقدسة التى تدين بها وتتخذها دستورا تبنى عليه سياستها الخارجية وعلاقاتها بالدول ، وايمانا منها بان أى نصر تحرزه معركة الحرية فى العالم ، او أى استقلال يحصل عليه أى شعب من شعوب العالم المستعمرة هو تدعيم لمركزها .. ولما كانت شعوب القارتين افريقيا وآسيا تخوض معارك مريرة مع الاستعمار ، وبحكم الصلة الوثيقة بين هذه الشعوب والامة العربية ، كان لابد لها وهى تمثل الارادة العربية القومية الثورية من أن تساند شعوب القارتين فى معارك التحرر والاستقلال ، وان تمد هذه الشعوب بكل ماتحتاج اليه وما تتطلبه المعركة ...

بذلك كان لابد من التصادم بين الحركة الثورية العربية التى تقف الى جانب الشعوب وبين الحركة الصهيونية العالمية التى تمثل دورا جديدا بل مظهرا جديدا للاستعمار الغربى .

الاعتبار الثانى :

ان ارادة الامة العربية متمثلة بارادة رائدها عبد النـاصر بعد أن توفرت لها أسباب القوة ، انطلقت تؤدى رسالة العرب الانسانية ، وهى رسالة خالدة متطورة ، بعد أن أقعدها العجز وعدم قدرتها على الحركة عن المساهمة فى دورها الانسانى الذى بدأته بصيحة الحق والتوحيد أطلقها النبى العربى محمد بن عبد الله قبل أربعة عشر قرنا فى الصحراء العربية وحملها من بعده أبطال آمنوا بها وتحملوا مسئولية تأديتها بامانة وقدسية ووفاء ، ثم توقف العرب عن المساهمة الايجابية فى خدمة الانسانية حقبة من الزمن الى أن كانت الثورة ، عندئذ ظهر الزعيم الذى يقدر على تحمل المسئولية القومية والتاريخية وتأدية رسالة العرب الانسانيـة متطورة بمـا يتلاءم مع متطلبات ومستلزمات العصر الذى نعيشه وهو عصر ثورات الشعوب من أجل تحررها واستقلالها .. واستانف العرب بذلك تادية رسالتهم التى أكد عبد الناصر بالتجربة العملية بانها تهدف الى تحرير الشعوب من عبودية الاستعمار ، والى تصفية الاستعمار من العالم بصفة نهائية والمحافظة على سيادة كل شعب محافظة تامة . بدأوا يساهمون مساهمة ايجابية فعالة فى معارك الاستقلال التى تخوضها الشعوب دون أن تكون لهم أية مقاصد توسعية او أية نوايا عدوانية .. وكان من الطبيعى جدا أن تكون المساهمة العربية الايجابية أكثر تركيزا ووضوحا فى قارتى أفريقيا وآسيا لكون شعوبهما أكثر شعوب الارض ثورة على الاستعمار فى هذه الحقبة من الزمن ، ولكونهما تتصلان بالعرب اتصالا وثيقا مباشرا ، وترتب على هذا الدور الجديد الذى بدأ العرب يؤدونه حتمية التصارع بينهم وبين الصهيونية العالمية التى اتخذت من القارتين ، فى فترة عجز العرب وعدم قدرتهم على الحركة ، ميدانا واسعا لمناوراتها وتآمرها على سلامة وأمن واقتصاد شعوبهما .

والاعتبار الثـالث :

ان الحركة الثورية العربية ، يتزعمها ويقودها عبد الناصر ، ارتفاعا

منها الى مستوى معركة الوجود مع الصهيونية العالمية ، وجدت أن الحرب بينها وبين الصهيونية العالميـة لايقتصر أمرها فى ميـدان واحد ، فى فلسطين مثلا فحسب ، انما يجب أن تمتد الى كل مكان وصلت اليه الصهيونية العالمية .. ولمـا كانت أفريقيا وآسيا اكثر المناطق العالمية حساسية بالنسبة للعرب مصيرا ومستقبلا ، كان لابد من مطاردة عنيفة للصهيونية فى هاتين القارتين تجعل مسئولية محاربة الصهيونية على مستوى المصير والوجود .

بسبب هذه الاعتبارات الثلاث انتقلت المعركة الى افريقيا وآسيا بين العرب الذين يساندون بمسئولية وايجابيـة شـعوب هاتين القارتين فى معارك الحرية التى تخوضها ، وبين الصهيونية العالمية التى تحاول جاهدة أن تكون القارتان مجالا تستثمر فيه أموالهـا وسوقا تصرف فيه منسوجاتها الصناعية .

وعلى الرغم من أن الصهيونية العالميـة كانت أسـبق فى غرس جذورها السامة من الحركات الاستقلالية فى القارتين ومن الثورة فى العالم العربى ، الا أن فرصة العمر التى كانت قد أتيحت لها لتعمل منفردة وبدون مقاومة فى كثير من مناطق العالم انتهت يوم تفجرت الثورة فى القاهرة ، وبانتهاء تلك الفرصة بدأ العرب بدورهم يمسكون بزمام المبادرة فى معركة الوجود التى يخوضونها ، بل انهم بدأوا يعيشون فرصة العمر وعهدهم الذهبى .. بذلك بدأ الزحف العربى المقاوم لاخطار الصهيونية .

انطلقت الارادة العربية لتدك معاقل الصهيونية والاسـتعمار فى كافة انحاء العالم وفى أفريقيا وآسيا بشكل خاص ، وبدأت الصهيونية التى عاشت أعواما أربعة تعمل بحرية وبدون مقاومة ، تحس بالخطر الشديد يلفحها من كل جانب .. وأخذت قلاعها تتهاوى وجذورها تقتلع ، والاردية الخادعة التى يتسربل بها للتضليل تمزق ، ولم تعد الاداة الساحرة الخفية التى أعدها الاستعمار لاكمال مهمته بعد أن كشفها عبد الناصر على حقيقتها فأدركت شعوب افريقيا وقادتها الاحرار الاخطار الجسيمة التى يتعرضون لها وتتعرض لها رايات استقلالهم الحديثة من جراء وجودها ومن الدور الاستعمارى الذى تؤديه .. فبدأت الابواب التى فتحت لها على مصراعيهـا تغلق فى وجهها وبدأت جذورها التى غرست أيام كان المستعمر هو الحاكم

الفعلى تقتلع ، وبدأت موجاتها العاتية تنحسر وترتد وتتحطم على صخرة عبد الناصر أمل العرب الكبير فى تحقيق أهـدافهم القومية الـكبرى .

لقد اضحت افريقيا المتحررة ، الاقطار التى ارتفعت فى سمائها رايات الاستقلال وتولى الحكم فيهـا قادة وطنيون يحافظون على الانتصارات والمكاسب التى تحققت ، ويمارسون الاستقلال ممارسة فعلية أمثال سيكوتورى فى غينيا ، ونكروما فى غانا ، وموديبو كيتا فى مالى ، تدرك أخطار الصهيونية التى نبه اليها وحذر منها الرئيس عبد الناصر ، ولقد ترتب على ذلك مسئوليات تتحملها الجمهورية العربية المتحدة تعتبر تتمة الى الدور الكبير الذى لعبته ثورة ٢٣ يوليو فى الثورات الوطنية والقومية التى تفجرت فى أنحاء القـارة الافريقية وكانت ثمارها رايات الحرية تخفق فى كل جانب من جوانبها

كانت أفريقيا فى الفترة الممتدة بين عام ١٩٤٥ وعام ١٩٥٢ أى فترة السبع سنوات الممتدة بين نهاية الحرب العالمية الثانية وقيام ثورة ٢٣ يوليو قد بدأت تعيش مرحلة حاسمة من تاريخها فجميع شعوب القارة بدأت تطالب بالاستقلال والتحرر بعد انتهاء الحرب ، ولعل الحرب لعبت دورا كبيرا فى اليقظة الافريقية .. ليس معنى هذا ان نضال الشعوب الافريقية بدأت بنهـاية الحرب العالميـة الثانية ، ولا أن عمر هذا النضال لايتجاوز الخمسة عشر عاما ، انما يعنى أن مرحلة قطف الثمار بدأت قبل سنوات قليـلة ، ويعنى كذلك ان الافريقيين الذين ذهبت بهم الدول الاستعمارية الى ميادين القتال ، والذين لعبوا دورا كبيرا فى تحقيق النصر للحلفاء ، عرفوا وهم يتنقلون من قطر الى آخر ومن جبهة الى جبهة الشىء الكثير عن معانى الحرية والاستقلال .. وعنـدما عادوا الى بلادهم بدأوا يترجمون المعانى التى تفهموها الى شعارات ، وكانت جميع الشعارات تطالب بالاستقلال التام والتحرر من ربقة الاستعمار وعبوديته .

كان لابد من التصادم بين هذه الشعوب وبين الدول الاستعمارية ذلك ان تناقضا حتميا وجـد وما زال موجودا ، فالشعوب التى تفتحت عيونهـا على خيرات بلادها تسرق ليتخم المستعمر وتبقى هى جائعة ، وعلى جهد ابنائها يستغل ليثرى المستعمر وتبقى هى فقيرة ، وعلى كنوز أرضها تستلب ليبنى بها المستعمر حضـارته

وتبقى هى جاهلة ، وعلى حقوقها مغتصبة ليبقى المستعمر سيدا وتبقى هى طبقة عبيد له .. عندما تفتحت عيونها على كل ذلك وجدت نفسها تخوض معركة مصير مع المستعمر الغاصب .

كذلك الحال بالنسبة الى المستعمرين الغاصبين ، لقد اعتبروا تحرر أفريقية ، أوتحرر شعوب افريقية، خسارة لاتعوض ،تفقدهم الرفاهية والاموال والخيرات والسعادة .. وفوق ذلك كله فان التحرر يعني عند الاستعمار خسارة فى الاستراتيجية ، ولذلك قاومت الدول الاستعمارية كل حركة تحررية ، وحاولت جاهدة اسكات كل صيحة تحرر ودفن كل شعار وطنى .. ومن هنا ، من التناقض التاريخى فى الارادة ، اى فى ماتريد الشعوب وما يريد الاستعمار ، نشأ الصراع الذى مازال متاججا الى يومنا هذا، وسيبقى كذلك الى ان تنتصر الشعوب بالوصول الى التحرر .

كان الصراع اذن ، أمرا حتميا وتاريخيا ، وقد بدأ ببداية الاستعمار ، الا انه أخذ شكل الثورات الهادفة المنظمة بعدالحرب العالمية الثانية ، فشهدت القارة الافريقية سلسلة من الثورات ، وتجاوبت فى اصدائها صيحات الاستقلال والتحرر حتى شملت ارجاء هذه القارة التى كانوا يطلقون عليها « القارة السوداء » ورد المستعمر على هذه الصيحات والثورات باللغة التىلايعرف سواها وهى لغة القتل والتدمير والابادة . واتخذ من ذلك سياسةلايحيد عنها ودستورا مقدسا يتقيد به ، ومن جراء ذلك ، شهدت شعوب هذه القارة فى السنوات التى تلت الحرب العالمية الثانية صنوفا من الاضطهاد وانواعا من الحروب لم تشهد مثلها البشرية فى تاريخها الطويل .

وضع الاستعمار نصب عينيه الاحتفاظ بالثروة التى يستبد بها وبالشعوب التى يستعبدها ، وبالارض التى يحتلها ، وبالمناجم التى يغتصبها وكانت وسيلته فى ذلك ، القوة ، فاتبعها ضد كل شعب فى كل قطر من الاقطار الافريقية الثائرة ، استعمل السلاح الفتاك بانواعه ضد الشعوب العزلاء من السلاح .. من ابسط أنواعها ، فكانت المعركة التى استعرت ، وما زالت تستعر فى عدة اقطار لم تحقق استقلالها بعد ، بين الاستعمار وبين الشعوب ، غير متكافئة فى السلاح ، ومع ذلك فان الشعوب حققت الكثير

من الانتصارات وكان سر انتصار الشعوب على الرغم من قوة الاستعمار المادية يكمن فى ارادة هذه الشعوب وتصميمها على نيل استقلالها واستعادة حريتها ..

كانت الارادة هى سلاح الشعوب عندما كان الاستعمار يملك كل أسباب القوة المادية من دبابات وطائرات ومدافع ، ومع ذلك فان سلسلة من الهزائم أصابته .. ولكنها لم تكن هزائم قاتلة بمعنى أن الاستعمار لم يستسلم بعد كل هزيمة ، انما كان ببقية القوة التى يملكها يشن على الشعوب نوعا جديدا من الحروب .. عرف هذا النوع بحروب الابادة . ولقد اتبعها الاستعمار ، ان كان هذا الاستعمار متمثلابالانجليز فى كينيا ، أو بالبلجيكيين فىالكونغو ، أو بالفرنسيين فى الجزائر أو بالبرتغاليين فى أنجولا ، ضد أفريقية كلها لاخماد ثوراتها ، وبراكينها الوطنية المتفجرة ، ومع ذلك وعلى الرغم من مئات الالوف وربما الملايين من شهداء أفريقية الذين صرعتهم قوى الاستعمار فان الثورات بقيتمستمرة ، ولعلها كانت تزداد اشتعالا كلما ازدادت قوى الاستعمار بطشا ، وببقاء هذه الثورات كتب الخلود لهذه الشعوب .

هكذا ، عاشت أفريقية ، فى الفترة مابين ١٩٤٥ و١٩٥٢ ... صيحات مدوية ، وشعارات مرفوعة ، وثورات متأججة ، دون أن تتحقق الامانى لعدموجود السندالقوى أو التجربة الثوريةالناجحة التى يمكن لهذه الشعوب المناضلة أن تستفيد منها أو تعتمد عليها

ولذلك فان عام ١٩٥٢ كان نقطة تحول فى تاريخ أفريقية كلها كما كان نقطة تحول فى تاريخ الامة العربية . فى ذلك العام تفجرت فى القاهرة ثورة عبد الناصر ، وغدت هذه الثورة بالتحرر الذى حققته لمصر ولغيرها من أقطار عربية مجاورة بعيدة ، وبالمبادىء المقدسة التى آمنتبها واتخذتها دستورا مقدسا لها . وبالاساليب التى تنتهجها فى معالجة القضايا والمشكلات ، وبالروح الجديدة التى انطلقت فى شمال القارة لتتحول الى تيار وطنى جارف يعم كل القارة ، السند القوى والقاعدة النضاليةالكبرى لجميع الشعوب الافريقية المناضلة لنيل حريتها .

كانت هذه الشعوب تحارب قوى الاستعمار حتى عام ١٩٥٢ بدون أى سند أو أيةامكانيات ، وغدت بعد ثورة عبدالناصر تعتمد

على سند قوى وامكانيات مادية كبيرة ،وسرعان ماتغيرت ظروف المعركة ، ثم سرعان مابدأت الشعوب المكافحة تشدد من الضربات والضغط على الاستعمار .. وتحولت افريقية كلها بعد عام ١٩٥٢ الى أتون تتفجر منه حمم الموت ، ولم تعد تنفع الاستعمار أساليبه ولا حرب الابادة التى يشنها ، ولا أسلحة حلف الاطلنطى التى يستخدمها . ثم سرعان ماتهاوت قوى الاستعمار وتبددت غيومه المظلمة لتشرق على أفريقية شمس الحرية بعد أن احتجبت مئات السنين .

وارتفعت على الارض الافريقية رايات واعلام الحرية ، واخذت هذه الرايات والاعلام تزداد كل سنة ، حتى بلغ عدد ما ارتفع منها خلال عام واحد (١٩٦٠) أربع عشرة راية ، وسترتفع على هذه الارض رايات اخرى خلال هذا العام ، ولن تاتى نهاية العام القادم حتى تكون الاعلام الاجنبية قد نكست وأزيلت عن كل أرض أفريقية . ولم يكن لهذه الاعلام والرايات ان ترتفع لولا المساندة الثورية التى قدمتها القاهرة لكل ثورة اشتعلت فى افريقية ، على الاقل كان لهذه المساندة اثر كبير وفعال فى تقصير الطريق والوصول بسرعة الى الاهداف ، ثم كان للتجارب ، والانتصارات التى حققتها ثورة عبد الناصر آثار فعالة فى انتصار الثورات .

لقد استفادت جميع الشعوب الافريقية وشعوب أخرى غير افريقية من تجارب الثورة العربية ، استفادت من معركة احتكار السلاح ، ومن الحرب الاقتصادية ، ومن معركة الاحلاف ، ومن القوانين الثورية ، والاصلاحات الجذرية ، ومن عمليات الهدم والبناء ، ومن التجربة الاشتراكية التعاونية الديمقراطية النابعة من ظروف واحتياجات الشعب ، كذلك استفادت من العدوان الذى تعرضت له مصر . أو بالاحرى الذى تعرضت له ثورة عبد الناصر العربية فى مصر العربية . ولعل من أسباب العدوان الرئيسية تلك المساندة الفعالة التى تقدمها ثورة ٢٣ يوليو وما زالت تقدمها للشعوب الثائرة ضد الظلم والطغيان والاستبداد والاستعمار .

وفى خلال سنوات قليلة ، بعد أن توافرت للشعوب المساندة الاكيدة ، والامكانيات الثورية المادية والدعائية ، ثم التجربة الثورية الناجحة ، كانت معركة المصير بين الشعوب والاستعمار تنتهى ،

ولاول مرة فى تاريخ الشعوب الافريقية ، بهزيمة للمستعمر وانتصار الشعوب ..

كان المستعمر فى الماضى ، قبل عام ١٩٥٢ هو الذى يكسب المعركة ، بدليل ان أفريقية كلها ـ جميع أقطارها وشعوبها بدون استثناء ـ كانت حتى ذلك العام محتله من قبل الاستعمار أو خاضعة لنفوذه ، ولم تكن فى هذه القارة الواسعة الكبيرة دولة واحدة أو قطر واحد يمارس الاستقلال بحرية تامة ، كان الاستعمار هو الحاكم وهو السيد ، وكانت الشعوب صاحبة القارة وخيرات ارضها لاتملك من أمرها ولا من خيراتها شيئا .. وكانت جميع ثورات هذه الشعوب وانتفاضاتها تخمد بقوة السلاح .

وتبدلت الحال بعد الثورة التى تفجرت فى القاهرة ، انتصرت ارادة الشعوب وكان معنى هذا الانتصار ان الاستقلال بدأ يتحقق ، وتذوق الافريقيون بعد فترة طويلة من الاستعباد طعم الحرية .. وتضامنت الشعوب حديثة الاستقلال مع كل ثورة ، ووقفت القاهرة الى جانب الاقطار حديثة الاستقلال تمدها بالخبرة والإمكانيات الى جانب الشعوب الثائرة تمدها بما تحتاج اليه المعركة .. وكفل ذلك التعجيل فى الزحف المقدس .

وغدت « أفريقية للافريقيين » ليس مجرد شعار أو هتاف ، انما حقيقة يلمسها العالم كله ؛ وأصبحت هذه القارة التى كانت تعيش كما يشاء الاستعمار ، تفرض مشيئتها على الاستعمار ، وأكثر من ذلك ، بدأت هذه القارة تحس بوجودها وتلعب دورها التاريخى الانسانى فى المعركة المصيرية التى تخوضها الانسانية بعد أن كانت كمية مهملة لا قيمة لارادتها ولا وزن لصوتها . والمعارك التى تشارك فيها هذه القارة كثيرة ومتنوعة .. فى الامم المتحدة وفى ميدان الحرب الباردة ، وفى الصراع بين الكتلتين العالميتين : الغربية والشرقية ، وفى كافة المجالات السياسية والاقتصادية ، ودورها فى هذه المجالات كبير وفعال ، بدليل أن صوت الدول الصغيرة فى الامم المتحدة أصبح بوجودها أكثر قوة ، وان سياسة الحياد الايجابى والتعايش السلمى وعدم الانحياز وهى السياسة التى جعل منها عبد الناصر قوة عالمية تقلل من خطر الحرب ، أصبحت باعتناق الدول الافريقية لها تؤدى دورا له فعالية متزايدة ، وأن

معركة الحرية فى العالم هى الآن بمساندة أفريقية تحقق المزيد من الانتصارات ، ولئن كانت هذه القارة ، أو دولها متخلفة اقتصاديا وربما فى مجالات أخرى غير الاقتصاد ، فان مسئولية ذلك يتحملها المستعمر ، ولكن رغم هذا التخلف فان هذه الاقطار حديثة الاستقلال لا تبحث اليوم عن مسئولية تخلفها ، انما هى تبحث عن كيفية الخلاص من هذا التخلف .. وتتخذ من المعجزات التى حققتها الجمهورية العربية المتحدة ، القلعة الحصينة فى شمال شرقى القارة ، قدوة حسنة لها ، ولذلك فان هذه الشعوب أو هذه الاقطار ، وهى تخوض معركة تأييد الاستقلال تعمد الى الثورة على التخلف الاقتصادى هادفة الى تحرير اقتصادها لتضمن لنفسها تدعيم الاستقلال ؛ ذلك أن هذه الشعوب بما خبرته عن الثورة العربية تؤمن ايمانا عميقا بأن لا قيمة للاستقلال ما لم يكن الاقتصاد مستقلا متحررا ، والاقتصاد الافريقى كله ، فى كل قطر من الاقطار ، خاضع أو هو تحت السيطرة الاجنبية الفعلية أو ملك للشركات الاحتكارية . هكذا عند ما يعلن الاستقلال .

وبسبب وجود الاقتصاد كله فى ايدى المحتكرين الاستعماريين فان المعركة التى تخوضها شعوب أفريقية لم تنته بعد ، أو انها لم تنته بالاستقلال ؛ ان هذه المعركة بدأت مرحلتها الحاسمة وهى مرحلة المصير بارتفاع راية الاستقلال .. ذلك أن الممارسة الفعلية للاستقلال تعنى قبل كل شىء تحرير الاقتصاد ، لان وجود الشركات الاجنبية أو الاحتكاريين الاجانب يعنى وجود المصالح الاجنبية وذلك يعنى بطبيعة الحال وجود النفوذ الاجنبى . ولا قيمة للاستقلال عندئذ ، أى أن الاستقلال يكون اسميا .

ومن أجل هذا ، كى لا يكون استقلال الاقطار الافريقية التى تنتزع حريتها اسميا ، فان هذه الاقطار بدأت معركتها الحاسمة بعد اعلان استقلالها مباشرة ، هذه المعركة هى معركة التحرر ... بمعنى أن الشعب حديث الاستقلال يبغى ممارسة فعلية لهذا الاستقلال ، وأية ممارسة فعلية من قبل شعب حديث الاستقلال تعنى اتباع سياسة خارجية وداخلية اسسها ثورية وهدفها توفير الرخاء للمواطنين . ويستحيل توفير مثل هذا الرخاء ما لم تكن هناك ثورة جديدة على الاحتكاريين والاقطاعيين والشركات الاجنبية

ومثل هؤلاء موجودون فى كل بلد تعرض الى السيطرة الاجنبية ، لان هذه السيطرة ، عندما تتحقق للاجنبى تعمل على تأكيد وجودها وبقائها بالاستيلاء على الثروات وبالعمل على ابقاء الشعب فقيرا جائعا ومريضا .. وبسبب ذلك فاننا نرى فى كافة الاقطار الافريقية ثورات مستمرة رغم اجتيازها الطريق الموصلة الى الاستقلال . هذه الثورات بالنسبة لافريقية لاتقل اهمية عن الثورات السياسية التى كان من نتائجها تحقيق الاستقلال ان لم تزد ، بل أن هذه الثورات ضرورة حتمية لمواصلة السير ... فالطريق النضالية التى تسلكها الشعوب لا تنتهى عند حد الاستقلال ، انما هى تستمر حتى تبلغ حد التحرر ، ثم تستمر بعدئذ حتى تبلغ حد القضاء على العملاء والانتهازيين الذين يشكلون خطرا على مكاسب الشعوب أكثر من الاخطار التى يسببها الاستعمار ذاته .

وكما أن الجمهورية العربية المتحدة ساهمت بايجابية تامة فى معركة الاستقلال التى تخوضها شعوب أفريقية فانها كذلك تساهم بايجابية تامة فى تدعيم الاستقلال وحمايته وتحرير الاقتصاد من الايدى القذرة التى كانت تستبد به . انها تقدم خبرتها وتجربتها للدول حديثة الاستقلال، وتقدم لها العون المادى والبعثات الفنية ، ولم تبخل على أى قطر افريقى من العون الذى يحتاج اليه ، ولقد ترتب على هذه المساهمة من الجمهورية العربية المتحدة أن أبوابا كثيرة ونوافذ متعددة أقفلت فى وجه الصهيونية العالمية التى تبنى استراتيجيتها على أساسين :

الأول : احتلال العالم العربى واتخاذه قاعدة احتشاد ومركز انطلاق .

والثانى : بسط نفوذها الاقتصادى على أفريقيا كلها وجنوب شرقى آسيا .

كانت فرنسا وهى تستعمر الكثير من الاقطار الافريقية قد اتاحت الفرصة أمام الصهيونية العالمية كى تنشىء علاقات دبلوماسية وتجارية واقتصادية وثقافية مع تلك الاقطار ، تماما كما فعلت انجلترا وبلجيكا والبرتغال فى مستعمراتها ، وحالت دون قيام أى نوع من الرابطة أو الاتصال بين شعوب تلك الاقطار وبين

العرب خاصة بعد ثورتهم التاريخية ، فبقيت اسرائيل عن طريق بعثاتها تعمق جذورها كي تتمكن من القيام بدورها بعد الاستقلال .. وبالفعل بعد ارتفاع راية الاستقلال كانت اسرائيل تتقدم بعروض سخية كالقروض المالية طويلة الامد ، والخبرة الفنية . بقصد بقاء الروابط بينها وبين هذه الاقطار حديثة الاستقلال لتبقى أمامها فرص العمل مفتوحة .. ولكن آمال الصهيونية بدأت تتحطم بقبضة عبد الناصر الفولاذية فبعد أن تحررت بعض الاقطار الافريقية من السيطرة الفرنسية وتولت الحكم فيها قيادة وطنية توطدت العلاقات بينها وبين القيادة الثورية فى الجمهورية العربية المتحدة وتولى عبد الناصر قائد الحركة الثورية العربية مهمة كشف الادوار الاستعمارية التى تضطلع بها اسرائيل فى القارة الافريقية ، وقد تحققت انتصارات حاسمة فى هذا المجال عندما تجاوب سيكوتورى وموديبو كيتا مع عبدالناصر فى ادراك أخطار اسرائيل . انهما بذلك أوصدا الابواب باحكام فى وجه الصهيونية العالمية .

وقبل ذلك كان مؤتمر الدار البيضاء الذى اشترك فيه الرئيس عبد الناصر ودكتور نكرومه رئيس جمهورية غانا وسيكوتورى رئيس جمهورية غينيا وموديبوكيتا رئيس جمهورية مالى والملك الراحل محمد الخامس ملك المغرب ، وقد تمكن فيه الرئيس عبد الناصر من اقناع الزعماء الافريقيين باخطار مهمة اسرائيل فأصدر المؤتمر قرارا يعتبر اسرائيل رأس جسر للاستعمار .

وقبل ذلك أيضا كانت سلسلة من المواقف الثورية وقفتها الجمهورية العربية المتحدة . داعمة ومؤيدة بكل امكانياتها المادية والمعنوية ، الى جانب جميع شعوب القارة ، وقد كان لهذه المواقف أثر بعيد جدا فى كشف الادوار التى لعبتها وتلعبها اسرائيل فى وقوفها المستمر الى جانب الاستعمار ضد الشعوب الافريقية وغيرها من شعوب الارض .

فى الكونغو ، وقفت الجمهورية العربية المتحدة تؤيد وتدعم كفاح الشعب من أجل التحرر والاستقلال ، ووقفت اسرائيل قاعدة الصهيونية والاستعمار تؤيد وتدعم النفوذ الاستعمارى وعملاء الاستعمار .

وفى الجزائر تتحمل الجمهورية العربية المتحدة مسئولية كبيرة فى مواصلة الحرب ضد فرنسا ، وتقف اسرائيل قاعدة الصهيونية والاستعمار شريكة للاستعمار الفرنسى فى حرب الابادة التى يشنها ضد الشعب هناك .

وفى التفجيرات الفرنسية ، وقفت الجمهورية بكل قوتها تقاوم هذه التفجيرات وتفضح أخطارها على الشعوب الافريقية والسلام العالمى ، ووقفت اسرائيل قاعدة الصهيونية والاستعمار تؤيد وتدعم فرنسا فى استهتارها بالرأى العام الافريقى والعالمى .

وفى التفرقة العنصرية ، وقفت الجمهورية بكل أجهزتها الدعائية تندد وتقاوم هذه السياسة الرعناء ، ووقفت اسرائيل تؤيد وتدعم حكومة اتحاد جنوب افريقية التى تصر على اتباعها .

كذلك الحال بالنسبة لكل قضية تحرر فى أفريقيا ، الجمهورية العربية المتحدة الى جانب الشعوب وقياداتها الوطنية ، والصهيونية العالمية الى جانب الاستعمار وعملائه ...

وكذلك الحال أيضا بالنسبة لكل قضية تحرر فى العالم .

الجمهورية العربية المتحدة تدعم وتؤيد كفاح الشعوب فى قبرص وفى جنوب شرق آسيا وفى كوبا وأمريكا اللاتينية ، والصهيونية العالمية تشد أزر الاستعمار وتشاركه التآمر على قضايا الشعوب.

وقد كان لهذه المواقف المتناقضة التى تقفها الارادة العربية متمثلة بالجمهورية العربية المتحدة تؤيد كفاح الشعوب ، والارادة الصهيونية متمثلة باسرائيل قاعدتها تقاوم تحرر الشعوب ، مع قدرة الحركة الثورية العربية يقودها عبد الناصر على الحركة والانطلاق والعمل الثورى ، كل الاثر فى احباط مؤامرات الصهيونية وخططها وفى الحاق النكسات والخسائر بها ... بل وفى تحطيم القلاع التى بدأت تشيدها فى كافة المناطق المحيطة بالعالم العربى ... ثم فى كشفها بوجهها الاغبر أداة استعمارية ومظهرا جديدا من مظاهر الاستعمار فى العالم الذى يتطور فى هذه المرحلة ليتخذ شكلا خادعا للشعوب .

ترتب على هذا الفضح بحقيقة اسرائيل ، والكشف عن نواياها ،

وتمزيق الاردية الخادعة التى ترتديها ... ان شعوب العالم والدول حديثة الاستقلال وعيت على الدور الذى تلعبه اداة للاستعمار فصارت تخشى تسللها . وتوصد الابواب فى وجهها وتقتلع الجذور التى زرعتها أيام كانت تتحرك بحماية الاستعمار بدون مقاومة .

بذلك ، كما تؤيد الادلة التاريخية وسير الاحداث وتطورها ، تكون الحركة الثورية العربية التى بدأ انطلاقها الثورى يوم ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ قد تحملت مسئولية قومية ودولية فى محاربة الصهيونية العالمية وتصفية الاستعمار ووقف زحف الشيوعية الدولية .

وبذلك يمكن الجزم بأنه لولا الثورة العربية وقيادة عبد الناصر لها ، لما ساهم العرب فى تحرير شعوب أفريقيا ، ولما قدروا على المساهمة فى معركة الحرية فى العالم .. لما تمكنوا فى كشف الابعاد التى ترمى اليها الصهيونية العالمية ولا المهمة الاستعمارية التى تضطلع بها اسرائيل ، ولما حققوا فى معركة المصير التى يخوضونها هذه الانتصارات التى سيكون لها اثر كبير فى نتائج المعركة المحتدمة بضراوة وعنف مع الصهيونية العالمية ومع جميع الاعداء الذين يريدون شرا بالعرب .

وبذلك أيضا ، تقول صفحات كثيرة من التاريخ : لولا ثورة ٢٣ يوليو وشخصية جمال عبد الناصر لما ارتفع العرب الى مستوى الاحداث ... لما حققوا هذه الانتصارات الضخمة ولما قدروا على استئناف حمل رسالتهم ، رسالة التحرر لجميع الشعوب والسلام لبنى البشر . يؤكدون فيها للعالم قدرتهم على المساهمة فى خدمة الانسانية ، ومقدرتهم على مواجهة التحدى بارادة لا تلين . غير ذلك ، هناك الشأن العالمى الكبير الذى أصبح العرب يتمتعون به ، والدور القيادى الخطير الذى غدا العرب يضطلعون به على المستوى الدولى .

قبل الثورة ، وبنظرة عاجلة على صفحات التاريخ ، نرى أن أمة العرب بفعل غدر الحكومات ، وتواطؤ الحكام ، وتآمر الاستعمار ، كمية مهملة لا شأن لها فى احداث العالم ، عاجزة عن صد الاخطار

منها وعاجزة عن اثبات وجودها فى الاسرة الدولية ، وعاجزة عن محو العار الذى لحق بها من جراء عدم قدرتها بسبعة جيوش على الحاق الهزيمة بالعصابات الصهيونية واستعادة فلسطين منها .

وقبل الثورة أيضا ، وبنظرة عاجلة على صفحات التاريخ ، نرى الدول العربية كلها تدور كالنجوم المظلمة الكئيبة فى فلك الاستعمار الغربى ... كانت البلاد العربية كلها ، اللهم غير سوريا ؛ خاضعة للنفوذ الاستعمارى ، ونراها كذلك « توابع » مجرد توابع للدول الاستعمارية لا ارادة لها فى سياستها الخارجية أو شئونها الداخلية .

ذلك حال العالم العربى كما ترسمه صفحات التاريخ قبل الثورة ... ولكن تلك الصفحات رغم ما تحمل من سيئات غدت شواهد للاجيال العربية الصاعدة تبين كم هى عظيمة ، ثورة ٢٣ يوليو التى انتقلت بالعرب من الدور اللا ارادى الى الدور القيادى فى منطقتهم العربية وفى المجال الدولى .

ولئن كانت اجزاء كثيرة من العالم العربى ، ما زالت خاضعة للنفوذ الاجنبى بسبب بطش العملاء ، فان تاريخ العرب الحديث يرتبط الارتباط كله بثورة ٢٣ يوليو ، فهى منذ عام ١٩٥٢ تمثل الارادة العربية والتاريخ العربى ؛ وتعبر بعمق واصالة عن المشاعر العربية ، وتتولى تأدية الرسالة العربية وتضطلع بالواجب القومى والدولى المترتب على الامة العربية تحمله .

غدت القاهرة بعد الثورة العربية التى انطلقت من القاهرة تحمل التأييد المادى والمعنوي لجميع شعوب الارض الساعية وراء حريتها رمزا كبيرا لكل حركة ثورية فى العالم ...

بل ان القاهرة التى كان يحكمها السفير البريطانى من قصر الدوبارة ، غدت كلمتها بعد الثورة ارهابا تخشاه بريطانيا ... وأكثر من ذلك ، غدت القاهرة تؤثر فى السياسة الدولية أكثر بكثير من لندن أو باريس ، وتقف فى الصف الاول مع واشنطون وموسكو المسكتين بالصواريخ الذرية ، تحمل الدعوة الأكيدة الصادقة لسلم يظلل العالم ويحرره من كابوس الحرب الذرية المخيفة .

كان مؤتمر باندونج عام ١٩٥٥ ، ولم يكن قد مضى على الثورة ثلاث سنوات ، هو الانطلاقة الاولى للثورة على المستوى الدولى ،

وقف عبد الناصر فيه يعلن ارادة الامة العربية فى اتباع سياسة الحياد الايجابى والتعايش السلمى ويؤكد تصميم العرب على تصفية الاستعمار ومساندتهم الفعلية لكل شعب يكافح من أجل تحرره واستعدادهم الاكيد لتحمل مسئولية دولية فى دعم السلام العالمى وتخفيف حدة التوتر التى كانت نهاية الحرب العالمية الثانية بداية لها بين المعسكرين الشرقى والغربى الذى انقسم اليه الحلفاء .

وعلى الرغم من أن صيحة الحياد الايجابى الكبرى انطلقت من باندونج الا أن مصر الثورة منذ قيام الثورة كانت تمارس الحياد وتتخذه أساسا لسياستها الخارجية بعلاقاتها بالدول ، لذلك كان اشتراكها فى ذلك المؤتمر التاريخى من أجل وضع تجربة الحياد فى خدمة الدول المشتركة ، والمساهمة مع تلك الدول فى وضع الاسس التى تكفل للدول حديثة الاستقلال بشكل خاص عدم الوقوع فى براثن الدول الكبيرة ذات الاستراتيجية البعيدة والاطماع الكبيرة ، والتضامن مع تلك الدول فى خلق تعاون مثمر مبنى على احترام السيادة القومية وعدم التدخل فى الشئون الداخلية ، من شأنه أن يقلل من حدة التوتر العالمى التى تفرض على جيلنا أن يعيش باستمرار على أطراف أعصابه .

وقد لعب جمال عبد الناصر فى ذلك المؤتمر الذى كان بداية الطريق لتوحيد كلمة الدول الحريصة على استقلالها وانتصاراتها القومية أبرز الادوار التاريخية وأهمها فى وضع المبادئ التى غدت دستورا لكل دولة ترغب فى ممارسة ارادتها واستقلالها ممارسة فعلية ، وتوضيح معالم طريق الحياد الايجابى على هدى تجربة الثورة فى أعوامها الثلاث الاولى ، وتأكيد أهمية المسئولية التاريخية التى تتحملها الدول المحايدة فى انقاذ الحضارة ، جهد الانسان عبر آلاف السنين ، من اخطار الفناء والتدمير ، وتمكن أن يرتفع بمعالجة القضايا القومية العربية الى مستواها الدولى الصحيح وأن يحقق لها ، خاصة لقضية فلسين ، أول نصر على النطاق الدولى فانتزع بذلك زمام المبادرة من الصهيونية العالمية التى كانت تمسك به منذ قيامها عام ١٩٤٨ .

ونجح المؤتمر فى تحقيق الاغراض التى انعقد من أجلها ، وكان

معنى ذلك بالنسبة للامة العربية أن دورا قياديا دوليا بدات تتحمله ... وقد تولى عبد الناصر بمسئولية واعية قيادة هذه الامة وهى تؤدى دورها التاريخى الجديد الذى يمثل جانبا هاما من رسالتها الانسانية ، وعلى الرغم من الأعاصير الكثيرة التى اصطنعها الاستعمار والشيوعية الدولية لتعوق سير قافلة الحياد الايجابى وسير امتنا بشكل خاص ، فان انتصارات كثيرة تحققت بفعل ارادة عبد الناصر وتصميمه والتفاف الجماهير الشعبية حوله تمده التأييد التام والثقة المطلقة .

كان الامر يتطلب بعد الزحف الذى انطلق من باندونج أن تتم لقاءات واجتماعات بين أقطاب الحياد فى العالم تمثلت فى مؤتمر بريونى فى صيف عام ١٩٥٦ الذى ضم جمال عبد الناصر والبانديت نهرو والمارشال تيتو ، وفى سلسلة من الاتصالات والزيارات بين الرئيس العربى وعدد كبير من رؤساء الدول حديثة الاستقلال .

نتج عنها زيادة التعاون بين دول الحياد وتوطيد العلاقات بينها وتوحيد جهودها فى محاربة الاستعمار وتصفيته ، وفى حماية الدول الصغيرة حديثة الاستقلال من افتراس الدول الكبرى ، ثم فى خلق جبهة قوية تشكل حاجزا بشريا وجغرافيا بين الكتلتين المتنازعتين تعمل بصدق وارادة لتخفيف حدة التوتر وصيانة السلم العالمى .

ان قيام مثل هذه الجبهة الفاصلة بين المعسكرين الشرقى والغربى يعتبر خطرا على استراتيجية كل منهما ... لذلك كان اللقاء اللاارادى بينهما فى محاربة دعوة عدم الانحياز التى انطلقت من القاهرة فى ابريل ١٩٦١ والتى من شانها بعد المؤتمر التاريخى فى يوغسلافيا أن تكون قادرة على وقف زحف المعسكرين وان تجعل من عدم الانحياز أساسا جديدا فى علاقات الدول الكبرى والصغرى .... تماما كما كان اللقاء اللاارادى بينهما فى محاربة فكرة الحياد عند ظهورها أثر ارتفاع رايات الاستقلال فى أقطار كثيرة كانت خاضعة للنفوذ الاستعمارى ... وتماما كما كان اللقاء اللاارادى بينهما فى محاربة القومية العربية تيارا وفلسفة ، ثم فى محاربة التجربة الاشتراكية العربية التى يعتبر نجاحها خطرا كبيرا يهدد استراتيجيتهما البعيدة الرامية الى السيطرة الشاملة على العالم .

ولئن كان يبدو من المعسكرين فى هذه الفترة ، عدم عداء سافر

لدول الحياد الإيجابي وعدم الانحياز ، فان ذلك لا يعني مطلقا تغيرا في نواياهما واستراتيجيتهما .. انما يعني تغيرا في أسلوب معالجتهما والتكتيك الذي يتبعانه فقط .

كان الاستعمار ، كما كان يردد دالاس المشهور بدفع العالم الى حافة الهاوية ، لا ينفك عن ترديد القول : « من ليس معنا فهو ضدنا » . ودول الحياد الايجابي هي المقصودة بذلك لان العالم بعد الحرب العالمية الثانية أصبح عبارة عن دول منحازة ومرتبطة بالمواثيق والاحلاف العسكرية مع احدى الدولتين الكبريين في العالم ، أمريكا والاتحاد السوفييتي ، ومثل هذه الدول في عرف الكتلتين اما دول صديقة أو دول معادية ... أو عبارة عن دول غير منحازة ترفض التنازل عن ارادتها ، وهذه الدول هي التي كان يعنيها دالاس ... وقد بقيت عبارة دالاس هي الدستور المقدس للاستعمار الغربي في علاقاته بدول الحياد ، وقد ترتب على ذلك ان أنواعا من الحروب الدعائية والنفسية والاقتصادية ، بل والحروب المسلحة تعرضت لها هذه الدول . ولكن تطور الاحداث العالمية وظهور الاتحاد السوفييتي منافسا قويا لمعونات امريكا والغرب جعلت الكتلة الغربية تغير تكتيكها في معالجة أزمتها مع الدول المحايدة ، وقد تطلب هذا التغيير قبول الامر الواقع مع العمل السري المتواصل لقلبه .

وكانت الشيوعية الدولية أيام ستالين تعتبر الحياد الايجابي خطرا يهدد زحفها الذي كان في أوائل الخمسينيات في أعلى مراحله كان ستالين يضع دول الحياد في صف الدول المعادية للاتحاد السوفييتي والشيوعية ، ولذلك فانه كان لا ينفك عن ترديد العبارات المقذعة ضد زعماء الحياد في العالم . ومنيت سياسة الاتحاد السوفييتي وقتئذ بسبب هذا الموقف العدائي للدول حديثة الاستقلال التي تعمل على صيانة استقلالها وحمايته بفشل ذريع . ثم مات ستالين ، وكان لا بد للوجوه الجديدة التي استقرت في الكرملين أن تبحث عن أسباب الفشل الذي كانت تعانيه الشيوعية الدولية ، فوجدت أن العداء السافر للدول حديثة الاستقلال لعدم ارتمائها في أحضان الشيوعية أهم أسباب الازمة والفشل ، لذلك كانت المعالجة عبارة عن تغيير في التكتيك اقتضى تقديم معونات مالية واقتصادية وفنية لهذه الدول تكسب بها صداقتها وتعمل

بواسطتها على ابعادها اكثر وأكثر عن الغرب على أمل ان يستقر بها المطاف فى النهاية لقمة سائغة سهلة الهضم ... ومضت سنوات دون أن يحقق تكتيك الاستعمار أى نجاح .. كذلك لم تحقق الشيوعية اى نصر فى الدول المحايدة .. بل على العكس من ذلك حققت دول الحياد المزيد من الانتصارات ، ولعل الجمهورية العربية المتحدة وليدة الثورة بممارستها العملية للحياد وتعرضها اكثر من غيرها لضغط وتآمر الكتلتين وصمودها فى وجههما وانتصارها بارادتها عليهما تحملت عبء معركة الحياد فساهمت بذلك .. بالانتصارات التى حققتها فى هذه المعركة فى جعل عدم الانحياز هدفا تسعى اليه كل دولة ترفع راية استقلالها وتحرص على بقاء هذه الراية تخفق بحرية .

لقد تعرضت مصر الثورة ثم الجمهورية العربية المتحدة وليدة الثورة ، بحكم اهمية موقعها الاستراتيجى وتأثيرها فى الاحداث التى تجرى فى العالم العربى وقارتى آسيا وآفريقيا الى أقسى ضغط شهدته دولة فى التاريخ الحديث... كان الهدف من الضغط الذى وصل الى حد العدوان المسلح هو تحطيم حيادها ، لان بهذا التحطيم — وهو لم يحصل — تكون الثورة قد تحطمت اذ تنعدم ارادتها وتشل حركتها وقدرتها على العمل .

كان العالم العربى كله قبل الثورة خاضعا لسيطرة الاستعمار ، اللهم غير سوريا التى كانت منصرفة الى حماية استقلالها ومنازعاتها الحزبية ، معنى ذلك أن العالم العربى كان تابعا للغرب مجردا من الارادة ، بقى الحال كذلك الى أن تفجرت الثورة عام ١٩٥٢ وكان تفجرها يعنى تحرر مصر وخروجها من نطاق التبعية وفتح ثغرة كبيرة فى استراتيجية الغرب أخذت تتسع شيئا فشيئا مع الايام حتى غدت أكبر خطر يواجهه الاستعمار الغربى فى تاريخ وجوده وأعظم تحد يواجهه منذ نجاح الثورة الشيوعية عام ١٩١٧ .

وبذل الاستعمار الغربى كل جهد مادى ومعنوى قدر عليه لاعادة مصر الى حظيرته من جديد مدفوعا الى ذلك من اجل حماية وجوده ومصالحه فى البلاد العربية وقارتى افريقيا وآسيا ... لم تكن التجربة الاشتراكية العربية قد وضحت معالمها بعد ، ولذلك فانه كان يعتبر التمرد السياسى عليه وتنتد بالتحرر من نطاق

جاذبيته ونفوذه واتباع سياســة مسـتقلة حيادية تهديدا كبيرا ومباشرا له . اخذ يحس بأن الشعوب العربية بدأت تتحفز للثورة على الحكام العملاء وعلى التبعية المطلقة للغرب ، متمثلة بما حققته ثورة مصر ، هادفة الى سلوك طريقها والالتقـاء معها والالتفـاف حولها للمشـاركة الفعلية فى حمايتهـا ، وأخـذ يلمس كذلك بأن الشعوب الافريقية والاسيوية والدول حديثة الاستقلال ، صارت تعتبر تحررمصر وسياستها الحيادية المنبثقة من ارادة الشعب العربى المتلائمة مع ظروفه واحتيـاجاته منارا كبيرا يضىء لها السـبيل ويشجعها على الانطلاق نحوه ، وفى ذلك كما يرى الاستعمار خسائر تصيب مصالحه وتعرض وجوده للخطر الاكيد ، وفضح لاسـلوبه الجديد فى معالجة قضايا الشعوب واستقلالها الذى ابتكره ليتلاءم مع تطور الاحداث وانتفاضات الشعوب المستعمرة .... وفلسفة الاسلوب الاستعمارى الجديد ، أن يخدع الشعوب برايات استقلال زائفة يحميها العملاء والاحتكاريون والانتهازيون يبقى من خلالها صاحب النفوذ والسلطة فى المجالين السـياسى عن طريق الحـكام العملاء والاقتصادى عن طريق أعوانه الاحتكاريين ، ولقد شهدت الاقطار العربية ، واقطار اخرى فى العالم الكثير من هذه الرايات تخفق فى السماء ، ولكن القيمة الكبرى لم تكن فى رفع هذه الرايات انما فى جعل هذه الرايات رمزا للاستقلال الحقيقى ، وهـذا ما لم يعرفه العرب والكثير من شعوب أفريقيا وآسيا قبل ثورة ٢٣ يوليو

بعد الثورة اكتشفت شعوب كثيرة ، منهـا الشـعب العربى ، قدرتها على جعل سياسـتها وعلاقتها بالدول العالميـة تابعة من ارادتها ... واكتشفت كذلك أن مثل هذه السياسة تفجر الطاقات الثورية وتدفع الشعب الى العمل البناء المثمر وممارسة وجوده فى بناء مجتمعه وحماية انتصاراته . لذلك فان هذه الشـعوب بدأت مرحلة جـديدة فى تاريخها هى مرحلة اكتشـاف الذات والارادة والقدرة على جعل الاستقلال استقلالا حقيقيا بالتحرر من نطاق الجـاذبية والدوران فى فلك الدول الـكبيرة ذات الاسـتراتيجية البعيدة والمطامع الاستعمارية التى لا حد لها ، وقد أيقن الاستعمار بأن الثورة العربية هى السبب فى تحطيم مشـاريعه كلها ولذلك بادر الى محاولة حصر تيارها وضرب سياستها الحيادية ولكنه فشل فى ذلك بسبب التفاعل الذى تم بين الشعوب وبين هذه الثورة من

جهة ، ثم بسبب الموقع الجغرافى الذى يتيح لمصر الاتصال بأفريقيا وآسيا بشكل خاص من جهة أخرى ، فتهاوت قلاعه وأصبحت الممارسة الفعلية للاستقلال الحديث تتمثل فى اتباع سياسة الحياد الايجابى التى يعنى اتباعها تقلص النفوذ الاستعمارى وارتداده الى الوراء وتحطيم استراتيجيته التى بناها على أساس أن قارة أفريقيا وجنوب شرق آسيا فى العالم القديم وقارة أمريكا اللاتينية فى العالم الجديد هى « أقمار » تدور بحتمية الجاذبية حوله .

ولم يشأ الاستعمار وهو يرى « الاقمار » تتحرر من نطاق جاذبيته ان يستسلم للامر الواقع . انطلق نحو القاهرة ، مشعل الحرية ، بجيوشه وأساطيله الجوية والبحرية يبغى تدميرها لعله بذلك يدمر قدرتها ، وسبق ذلك سلسلة لم تنقطع من الهجمات بأسلحة مختلفة كالحصار الاقتصادى وحرب الاذاعات والدعايات ، ومحاولة التجويع وتدبير المؤامرات .. فشلت كلها فشلا ذريعا وبقيت القاهرة ، مشعل الحرية ، صامدة بارادة قائدها وشعبها العربى لم تنحرف رغم حدة الهجمات الاستعمارية خطوة واحدة عن طريق سيرها ، طريق الحياد الايجابى والتعايش السلمى ومد يد الصداقة النظيفة الى جميع شعوب الارض .. لم تنحرف نحو الكتلة الشيوعية تطلب الحماية فى وقت كانت القوة المعادية تحيط بها من كل جانب ، تمنع عنها الخبز اللازم للشعب والدواء الضرورى لحماية الشعب من فتك الامراض وتبعث اليها بالموت قوافل متلاحقة .

وتوقعت الشيوعية الدولية أن ترتمى مصر الثورة ، من شدة الدفع الاستعمارى لها وتآمره عليها فى أحضانها أو على الاقل تطلب حمايتها فيتحقق لها بذلك حلم كبير يراود اجفانها منذ أول نصر عملى حققته عام ١٩١٧ ، اذ يصبح لها موطىء قدم تطل منه على افريقيا وجنوب شرق آسيا والعالم العربى الغنى بالبترول ، عدا عن أهمية ذلك فى جعل سلسلة القواعد العسكرية التى بناها الغرب حزاما حول الاتحاد السوفييتى معقل الشيوعية الدولية لا قيمة حربية لها .

لقد بنت الشيوعية الدولية سياستها الحديثة بعد موت ستالين على محاولة كسب الاصدقاء بالمعونات ثم تطوير الصداقة الى

حماية ان أمكنها ذلك ، ولكن املها الكبير الذى كانت تبنيه على هذه الصداقة أو هذه المعونات ثمن الصداقة ، هو أن تكسب حرية العمل والنشاط السياسى للحزب الشيوعى الذى يمكن بالعون الذى يتلقاه فيما بعد أن يقدر على تحقيق الثورة العمالية التى تصبح حلقة جديدة من حلقات الشيوعية الدولية . ولكن هذه السياسة وهذه الآمال لم تحرز اى نجاح فى مصر الثورة ثم فى الجمهورية العربية المتحدة بعد الوحدة بسبب التناقض الحتمى بين القومية العربية والشيوعية الدولية فلسفة وارادة واسلوبا وحرص الثورة وقيادتها على ممارسة الاستقلال ممارسة فعلية تتحقق بالحياد الايجابى فقط .

وعلى الرغم من محاولات الشيوعية الدولية تحقيق أى مكسب سياسى من وراء معوناتها الا أن الجمهورية العربية المتحدة بقيادتها الثورية حرصت بشدة متناهية وبحساسية دقيقة على أن تبقى علاقتها بالاتحاد السوفييتى وشعوبه على أساس الصداقة النظيفة مع التقدير التام للمعونات الاقتصادية التى تقدمها لبناء السد العالى واقامة أنواع من الصناعات والمشروعات الهامة فى تطوير المجتمع العربى والانتقال به الى ميدان الصناعة الثقيلة ، ومع ذلك فان المحاولات لم تنته ، ولكنها مهما تكاثرت فانها لن تقدر على دفع هذه الجمهورية خطوة واحدة نحو اليمين الذى يمثل الاستعمار الغربى تماما كما عجز الاستعمار من قبل عن دفعها خطوة واحدة نحو الشيوعية .

بهذا الصمود البطولى قدمت الجمهورية العربية المتحدة بقيادة رئيسها عبد الناصر لشعوب الارض كلها ، والشعوب حديثة الاستقلال بشكل خاص ، تجربة جديدة مارستها بالارادة والتصميم حولت فيها الشعار الكبير ، والصيحة المدوية ، إلى عمل كبير ومبادىء خلقية ، وجعلت القاهرة كعبة لرواد الحرية ، وقاعدة كبرى تنطلق منها تيارات قوية تهدم قلاع الاستعمار وتوقف زحف الشيوعية ، وارادة تعمل بكل الامكانيات والطاقات لان تخلق من عدم الانحياز جبهة بشرية تفصل بين المعسكرين وتمنع الاحتكاك بينهما وتمنع بذلك حتمية الحرب الذرية .

ولقد استفادت شعوب كثيرة من هذه التجربة السياسية فأقدمت عليها تمارس بها ارادتها ووجودها وتحمى بها مكاسبها وانتصاراتها ، وتؤكد بها انعدام التناقض بين الحكومة والشعب لتنعم البلاد فى استقرار سياسى لا تعرفه الدول المنحازة .. ثم غدت هذه التجربة كما غدت التجربة الاشتراكية ، هدفا كبيرا للدول حديثة الاستقلال تسعى الى بلوغه لتطمئن على انتصاراتها وسياستها القومية . مما يؤكد هذا السعى أن كل دولة ترتفع فى سمائها راية الاستقلال وتتولى الحكم فيها قيادة غير عميلة ولا انتهازية تبدأ فى ممارسة استقلالها الحديث باتباع سياسة الحياد الايجابى ومثل هذه الدول تبلغ اليوم أكثر من عشرين دولة معظمها دول استقلت بعد مؤتمر باندونج .

ان الحياد الايجابى وعدم الانحياز والتعايش السلمى كانت شعارات تلتف حولها الجماهير فى العالم حولتها القيادة الثورية العربية بالكفاح والتجربة الى مبادىء سياسية ثابتة عميقة الجذور تأخذ بها اليوم شعوب كثيرة فى العالم ، ولقد تهيأت لهذه القيادة الثورية بفعل تجربتها ومواقفها البطولية وارادتها التى لا تلين ولا تتأثر بضغط الدول الكبرى ، مهمة قيادية دولية تمارسها بمسئولية واعية فتسير فى طليعة الدول حديثة الاستقلال تشق طريق السلام للبشرية كلها وترفع راية النضال لتؤكد بذلك عزمها على مواصلة الوقوف الى جانب كل شعب يناضل من أجل تحرره .

بذلك ، بالصمود البطولى ، والمهمة القيادية ، والرسالة الانسانية ، قدمت الثورة الى العالم خلال تسعة أعوام فقط تعرضت خلالها الى أقسى أنواع التآمر والضغط والحروب تجربتين عمليتين ، الاولى تجربة الحياد الايجابى ، والثانية التجربة الاشتراكية التعاونية الديمقراطية .. وعبر هاتين التجربتين حققت انتصارات قومية انتزعت بها زمام المبادرة من الصهيونية العالمية والاستعمار والشيوعية الدولية على السواء فاصبحت تمسك بيديها مصير كل قضية عربية ومصير الوجود العربى ، وتقف فى الصف الاول بين الدول الكبرى تقلل من فرص التصادم بينها وتساهم فى ابعاد شبح الحرب وانقاذ البشرية والحضارة من خطر الفناء والاندثار .

ان الامة العربية مصيرا ووجودا مرتبطة بهـذه الثورة ، فهى ثورة وجودها ، وهى رسالتها الانسانية ، لولاها لما كان عبد الناصر الرمز الكبير للامة العربية وشعوب آفريقيا والكثير من شـعوب العالم المناضلة من أجل تحررها .. ولولاها بارادة عبد الناصر لما ارتفع العرب فى صراعهم مع الصهيونية العالمية الى مستوى معركة المصير والحياة ، ولما هزموا الاستعمار وأوقفوا زحف الشـيوعية الدولية على ديارهم ...

لولا هذه الثورة لبقى العرب كمية مهملة تدور بلا ارادة فى فلك الاستعمار الغربى ، ولحققت الصهيونية العالمية الكثير من ابعادها .. لكان العرب اليوم فى حال لا يعرف حلكة ظلامه أحد .. لبقيت الحرية والوحدة والاشتراكية شعارات حائرة ترددها جماهير حائرة

مطـــابع
الدار القومية للطبـــاعة والنشر
١٥٧ شارع عبيد ـ روض الفرج
ت ٤٥٣٤٦ ـ ٤٥٤٠٥

كتب ثقافية

تقدم يوم الخميس القادم
٢٠ يوليو سنة ١٩٦١

مولد بلا عودة
وقصص أخرى

بقلم
احمد عادل

الكتاب ١٢١
الثمن ٤ قروش
صدر يوم الثلاثاء ١٨ يوليو (تموز) سنة ١٩٦١
الدار القومية للطباعة والنشر
شركة ذات مسئولية محدودة
١٥٧ ش عبيد ـ روض الفرج
ت ٤٥٣٤٦ ـ ٤٥٤٠٥